الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى–جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة بعنـــوان :

النظرية السياقية و تأثيرها على المدارس اللسانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

– بلعيفة سميحة

– عبدوس سلوى

إشراف الدكتورة:

– بوربونة فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة

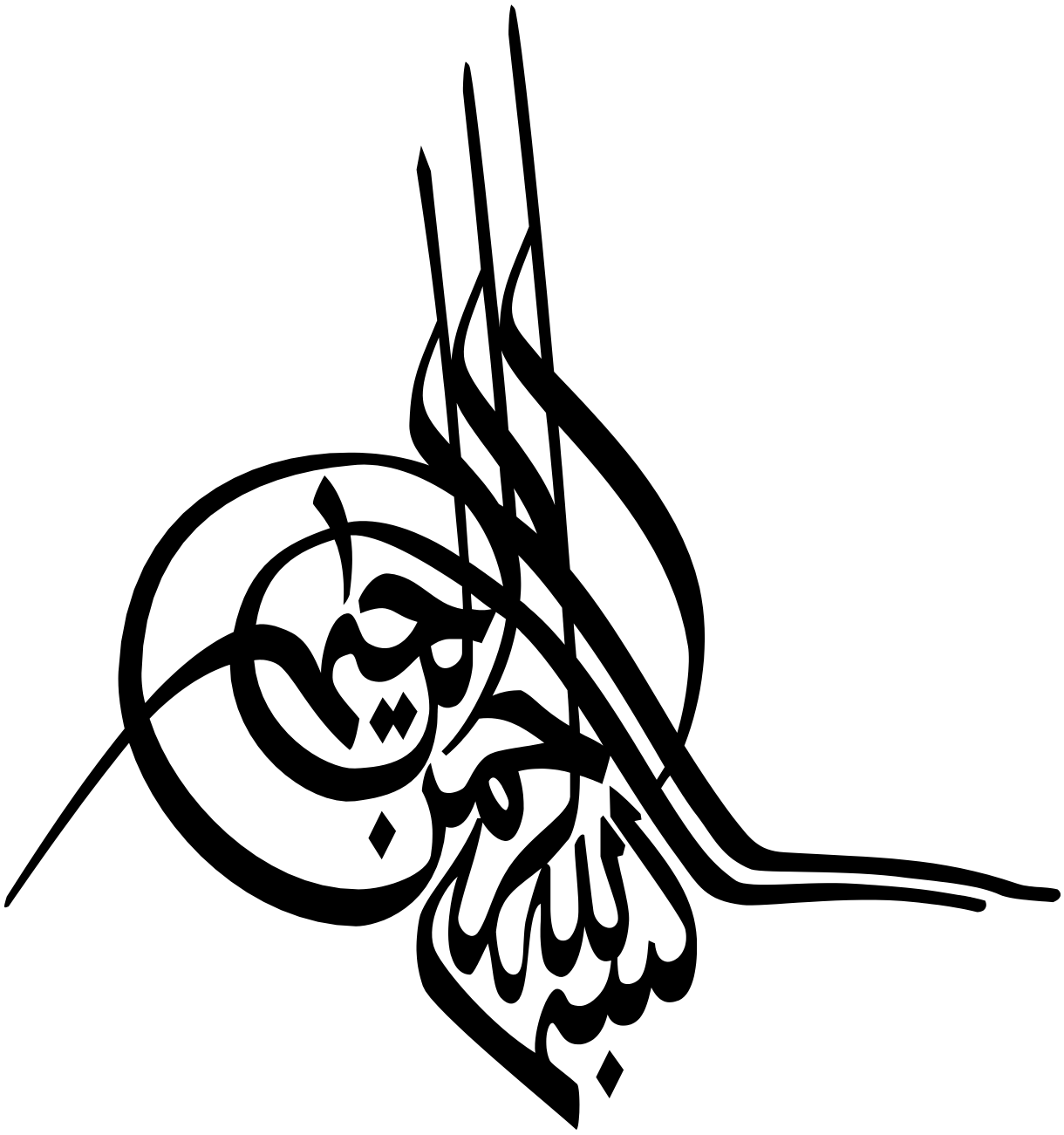
1–الدكتورة: عطية فاطمة الزهراء رئيسا.

2–الدكتورة: بوربونة فاطمة الزهراء مشرف ومقررا.

3–الأستاذة: طبوش سعاد عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:

2017/2016 م – 1438/1437هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــــاء

اللّهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا إماما ونورا وهدى

اللّهم ذكرنا منه ما نسينا وعلّمنا منه ما جهلنا

وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار

واجعله لنا حجّة يا رب العالمين.

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكّرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللّهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

اللّهم إنا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا

اللّهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي

اللّهم ساعدنا أن نقول كلمة حق في وجه الأعداء

ولا نقول كلمة باطل لكسب الأقوياء

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

شكـر وتقديـر

الحمد لله ربّ العالمين، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا على إنجاز هذه المذكرة،

اللّهم صلى على محمد آل محمد وبعد:

فبعد أن أتممنا مذكرتنا نستذكر الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان،

ونجد أنفسنا في كلمة لابدّ أن نذكرها وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل اللّه تعالى أولا،

وبفضل الذين كانت لهم الأيادي البيض عليه.

وهذه الكلمة نتوجّه فيها إلى اللّه تعالى بالدعاء والشكر إلى أستاذتنا المشرفة **"بوربونة فاطمة الزهراء"** التي تحملت معنا عناء أعباء إنجاز هذا العمل، ولم تبخل علينا بنصائحها القيّمة وتوجيهاتها التي كان لها الأثر الكبير في إظهار هذه المذكّرة، فلها منّا جزيل الشكر والامتنان والتقدير، اعترافا بالجهود العظيمة فشكرا لكِ أستاذتنا الفاضلة، كما نتوجّه بالشكر إلى "أستاذة قسم اللّغة العربية" "بجامعة محمد الصديق بن يحي" ، وإلى كل من ساعدنا بالنّصح والتوجيه ولو بكلمة طيّبة.

"شكرا لكم جميعا"

"بلعيفة" **"عبدوس"**

المقدمة

استطاع السياق أن يحتل منزلة مرموقة بين المدارس اللسانية الكبرى، كمدرسة "دوسوسير" و "المدرسة الوظيفية" التي ظهرت مع حلقة براغ، والتحويلية والسلوكية وغيرها.

فضلا عن جهود العالم الإنجليزي "فيرث" الذي أعاد إحياء الدراسات اللسانية التي كانت تنظر إلى اللّغات الإنسانيّة بوصفها نظاما داخليا بعيدا عن العناصر الخارجية. وسرعان ما تغيرت نظرتهم إليها فكانت منبر تعبير عن أفكارهم وتأويل أقوالهم وفقا لسياقاتهم ومحاكاة واقعهم، كون السياق ينقسم إلى قسمين: سياق لغوي وآخر غير لغوي، فالشق الأول يعتمد على اللّغة في حدّ ذاتها ونظامها الداخلي كالصوت والمعجم والتركيب والبناء النحوي، والبناء الصرفي، في حين أنّ الشق الثاني يعتمد على المشاركين في الخطاب كالمتكلم والمستمع، إضافة إلى علاقتهما ببعضهما وكل الظروف المحيطة بالخطاب ونوعه. وقد خصّصنا بحثنا هذا في الحديث عنها باعتبارها نظرية قائمة بذاتها سمّيت بالنظرية السّياقية، فكان عنوان المذكّرة موسوما بـ " النظرية السياقيّة وتأثيرها على المدارس اللسانية".

ولأنّ سبب اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى قناعتنا بأن السياق ترجع جذوره الأولى إلى تراثنا العربي، الذي وصل إلينا فضلا عن جهود علماء الغرب الذين نظموه في إطار نظرية متكاملة نجدها قد تبلورت بعد عند علمائنا القدامى. إلا أنّ رغبتنا الحقيقية هي إزالة الستار عن النظرية السياقية بمعرفة مكوناتها ومصطلحاتها في ضوء المدارس اللسانية التي تقدمها وتشرحها سعيا منها لضبط أصولها أضِف إليها دوافع أخرى منها: محاولة الاستفادة من اللسانيات بصفة عامة اعتمادا على المناهج المطبقة فيها خاصة المنهج السياقي. كذلك التعرّف على السياق عند القدامى وطريقتهم في وضع آلياته وكذا لدى المحدثين.

ومسعانا في هذا العمل هو محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

– هي النظرية السياقية؟ وما أقسامها؟ وما مدى تأثيرها على المدارس اللّسانية مع محاولة الكشف عن جوانب خفيّة فيها خاصة في جانبها التطبيقي؟

وقد سارت الخطة التي اعتمدناها كالآتي: مدخل، فصل نظري وفصل آخر تطبيقي وخاتمة.

فالمقدمة كانت عبارة عن تمهيد للموضوع وتقديم تصور أوّلي له، أمّا المدخل ففيه تحديد لنشأة اللّسانيات عند العرب والغرب ثم الفصل الأول الذي كان بعنوان: الإرهاصات الأولى لظهور النظرية السياقية مقسمين إياه إلى مبحثين: خصصنا الأول منه للحديث عن السياق عند القدامى والمحدثين، أما الثاني فقد تناولنا فيه النظرية السياقية عند "فيرث" ، أما الفصل الثاني التطبيقي ففيه حديث عن تأثير السياق على المدارس اللسانية المعروفة: كالبنيوية والتحويلية والوظيفية والسلوكية منة خلال الأدوات الإجرائية المستخدمة في تحليل العناصر اللّغوية، وأنهينا الدراسة بخاتمة بيّنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها مطبقين المنهج التاريخي الذي يعتمدا لوصف و التحليل والذي يتماشى مع طبيعة الموضوع،

وقد استفدنا من دراسات عديدة في هذا المجال منها:

دراسة "عبد النعيم خليل" في كتابه: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين الذي تناول فيه السياق أصله ومفهومه وعناصره، والسياق لدى القدماء والمحدثين، وأطروحة دكتوراه "ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي بعنوان: "دلالة السياق" إذ درست السياق في التراث العربي إضافة إلى بعض المصادر والمراجع نذكر منها "اللسانيات النشأة والتطور" لأحمد مومن و"علم اللّغة العام لفرديناند دوسوسير"، و"علم الدلالة" لأحمد مختار عمر وغيرها.

ومما لاشك فيه أن كل باحث أثناء إنجازه لبحثه وجمعه للمادة العلمية المتعلقة به، تصادفه عراقيل تقف حائلا دون إتمامه لعمله منها:

-سعة الموضوع وعمقه وكثرة التفاصيل والشروحات في جانبه النظري، جعلتنا نقف عاجزين على الإلمام به. مع قلّة المراجع التي تبحث في جانبه التطبيقي، ضِف إلى ذلك ضيق الوقت.

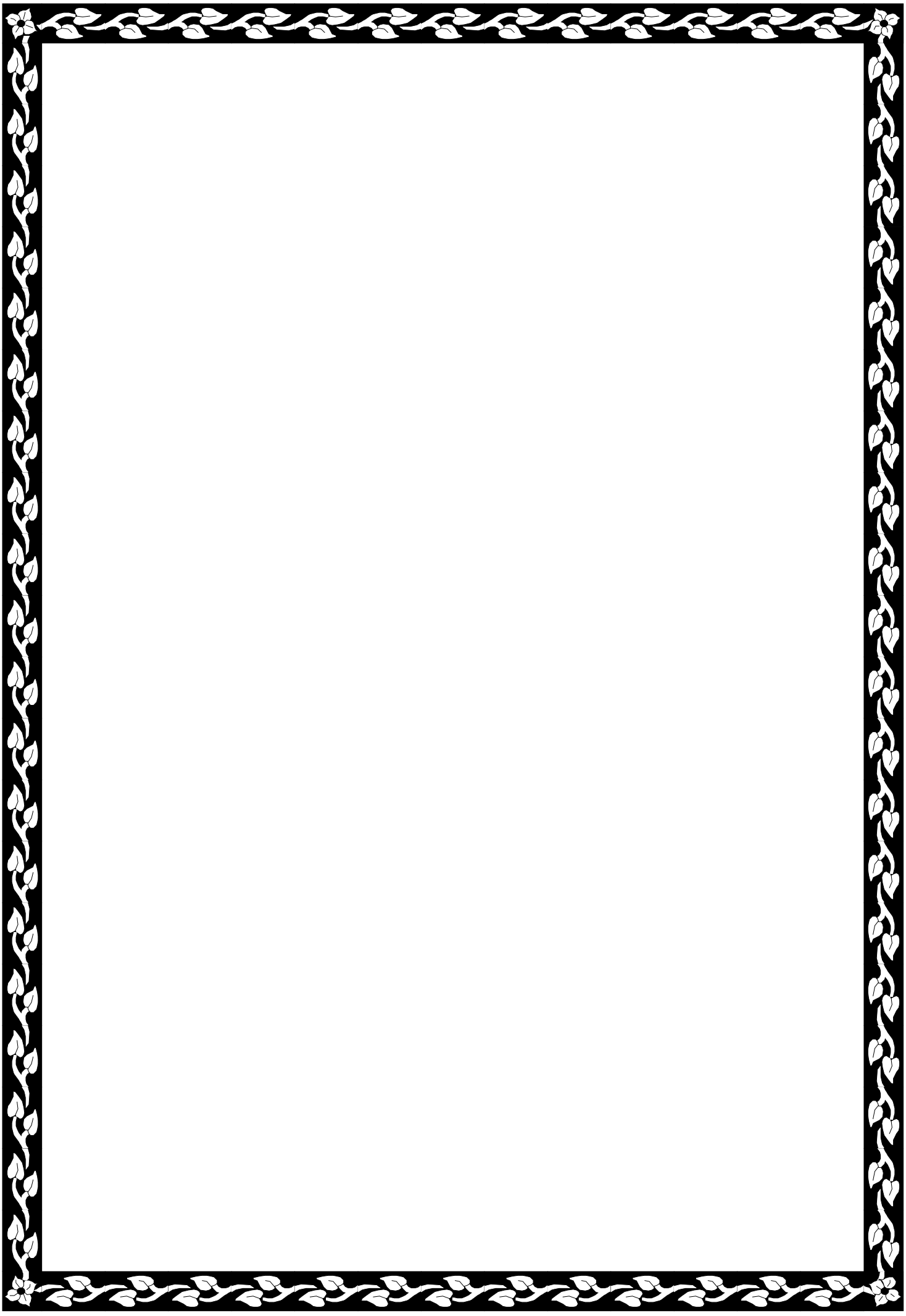
وفي الأخير نشكر الله تعالى، ثم نشكر من ساعدنا ومدّ لنا يد العون في إنجاز هذا البحث وخاصة الأستاذة المشرفة "بوربونة فاطمة الزهراء" التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيّمة التي كانت عونا لنا في هذا المسار، نسأل الله أن يجازيها عنّا من خيرِ ما يجازي به عباده الصالحين، كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأساتذة الأفاضل "أعضاء لجنة المناقشة" وكل من ساعدنا في هذا العمل من قريب أو من بعيد.

مدخل

نشأة اللسانيات :

1- اللسانيات عند العرب

2- اللسانيات عند الغرب



1 – اللسانيات عند العرب:

جاء على لسان بعض الباحثين قولهم: «إن الحضارة العربية لم تفرز في مجال اللغويات سوى علما تقنيا منطلقه و غايته نظام اللّغة العربية في حد ذاتها،و أعلامها فكروا في استنباط منظومتها الكلية وحددوا فروع دراستها بالتصنيف لعلوم اللّغة و تبويب محاورها. مفرِزة تراثا لغويا في مجال النحو و الصرف و الأصوات و البلاغة والعروض ولكنهم تطرقوا إلى التفكير في الكلام من حيث هو كلام ؛أي في الظاهرة اللغوية كونيا».[1]

ولهذا ، فإنّ العرب: «بحكم مميزات حضارتهم، و بحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات، فقد دعوا إلى التفكير في نظام اللغة و في قدسيتها ومراتب إعجازها، فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة حسب بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية، مما لم تهتد إليه البشرية إلاّ مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين».[2]

وقد امتد تركيزهم على اللّغة باعتبارها ظاهرة كلاميّة فامتازت دراساتهم القديمة بالدقة و الموضوعية و العلمية في فرضياتها و نتائجها حيث أسّست لعلم لغوي عربي استفاد منه الكثيرون من العرب إلى يومنا هذا.

ولعلّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى نشأة اللسانيات عند العرب:

1-اختلاط المسلمين ببقية الأجناس و الشعوب الأخرى و دخول اللحن على لغتهم.

2-العامل الديني المتمثل في المحافظة على فهم القرآن و حسن تلاوته و استخراج الأحكام الشرعية، و الخوف من فساد الألسنة.

3-العامل القومي و الذي يتضح فيه حب العرب للغتهم و غيرتهم عليها.

[1]- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1981، ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

4-العامل الفكري الحضاري المتمثل في ارتقاء التفكير عند العرب، بسبب حضارية الدين الإسلامي ودعوتهم إلى العلم بالإضافة إلى الاحتكاك الفكري بالأمم الأخرى.

وبذلك، «كان للعرب جهودا لامعة في مجال الدرس اللغوي، نالت إعجاب العلماء و تقديرهم، مغطيا المستويات الصوتية و الصرفية و النحوية و التركيبية و الدلالية».[1] حتى أصبحت الدراسات اللغوية عندهم: «تزخر برصيد معرفي هائل له مكانته العلمية في الفكر اللساني المعاصر، لأنه يملك الشرعية العلمية في إطار الحضارة المحققة التي اعتمد عليها في تتميم الأسس المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة، وهو وإن تمحور حول القرآن الكريم يكون متسما بالبعد الديني، و يتشرّف بتسمية النص القرآني كلام الله عز و جل، فإنه يحمل في عمقه أيضا الفضول العلمي والتطلع إلى إغناء الدّراية المعرفية و العلم في بعده الإنساني الذي يأمر به التكليف في مقاصد الشريعة».[2]

و عليه فقد مر الدرس اللغوي عند العرب بمراحل منها:

أ – مرحلة أبو الأسود الدّؤلي الذي يعدّ واضعا لعلم النّحو.

ب – مرحلة الدراسة الوصفية التحليلية الشاملة التي تندرج تحتها خمس مراحل:

– أولاها :مرحلة جمع المعطيات اللغوية، إذ إن المصادر الأساسية للعربية متمثلة في القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة و الشعر العربي ثم يأتي السماع في المرتبة التالية؛ الذي يعني الاستماع من القبائل الفصيحة بعد اختيارها مثل: قيس، تميم، أسد و غيرهم.

وثانيها: مرحلة التصنيف و التبويب: بعد جمع المعطيات بشكل عشوائي وجب تصنيفها و تبويبها في رسائل حسب الموضوعات ثم في معاجم مثل معجم العين للخليل، «كما نجد "الكتاب لسيبويه" الذي خصص فيه حيزا

[1]– السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزائر، ط1، 2008، ص16.

[2]– المرجع نفسه، ص16.

لدراسة الإدغام و قواعد الإعلال و الإبدال، و عالج الأصوات قبل معالجة الإدغام، كما تطرق المبرد إلى الإدغام في كتابه المقتضب للجزء الأول، و قدم للموضوع بدراسة حول الأصوات و مخارجها.»[1]

في حين أن "الزمخشري" (ت 538هـ): «قدم دراسة للأصوات سبق بها ظاهرة الإدغام في آخر كتابه الموسوم: "المفصل"، وتناول أصحاب المعاجم بعض المسائل الصوتية في مقدمات معاجمهم. أما ابن جني (ت 392هـ). فهو أوّل من استعمل هذا المصطلح الدّال على علم الأصوات».[2]

ثم تليها المرحلة الثالثة: و هي مرحلة الاستقراء و المقارنة، و استنباط القواعد العامة للغة و دراسة هذه المعطيات من حيث الرفع و النصب و الجر و الوقف، وكانت القواعد المستخلصة أشبه بعلم اللغة العام، لأنّ فيها النحو والصرف والبلاغة، والمرحلة الرابعة التي تظهر أن كل علم يبدأ علما شاملا، ثم يتجه نحو التخصيص فظهرت المدارس النحوية (البصرة و الكوفة)، و في مرحلتها الأخيرة فقد اتخذت الدراسات اللغوية العربية في نهاية القرن الخامس هجري، منهجا جديدا و هو منهج الدراسة الوظيفية للغة، و كان ذلك على يد الإمام "عبد القاهر الجرجاني" الذي أعاد للدراسة اللغوية العربية روحها، و أكد على ربط النحو بالبلاغة؛ لأن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل.

و مما تقدم يمكن أن نستخلص بعض التوجهات اللسانية العربية التي استفاد منها كثير اللغويين الدارسين ومن ذلك نجد: الاتجاه البياني مع "الجاحظ" (ت 255هـ) الذي يعتبرالبيان: «اسما جامعا لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحُجُبْ دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.»[3]

[1]–السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية ،ص18.

[2]– المرجع نفسه، ص19.

[3]– الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2003، ج1، ص56.

فالبيان أفضل وسيلة للكشف عن العلاقات اللسانية التي تجمع المتكلم و المخاطب و تنقل البيان إلى البلاغة و الكلام إلى رسالة مع ما تتضمنه من إلقاء و تلقي و رموز و معاقد و حال و مقام، و هي عنده ملخصة بأنواع الدلالات الخمسة: اللفظ، الإشارة، العقد، الخط، والنصبة.

فاللفظ هو إحدى الدلالات الخمس: و يقصد به قدرة الإنسان على الكلام و الإبانة عن نفسه بالألفاظ.أما الإشارة فتكون إما باليد أو بالرأس أو بالعين أو بالحاجب ثم الخط الذي يقصد به: كتابة الكلام و تدوينه، يستطيع الإنسان من خلاله تصحيح الكتاب و من ذلك قول عبد الرحمان بن كيسان: «استعمال القلم أجدر أن يخص الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام.»[1]

أي أن الكتاب يقرأ في كل مكان و زمان أما اللسان فلا يعدو سامعه و لا يتجاوزه إلى غيره؛ ذلك أن الكتاب عندما يصحح بالقلم يقرأه الناس و يدركونه، في حين أن السامع عندما يصحح كلامه بلسانه فيعدّ هو الوحيد القادر على سماع كلامه دون أن يتجاوز ذلك إلى غيره.

أما العقد فهو: «الحساب دون اللفظ و الخط»[2] ، و النصبة هي: « الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات.»[3]

ثم يأتي اتجاه النظم مع الجرجاني الذي أبرز الصلات التي تكون بين الكلمات و التي تتألف منها الجملة (موضوع تعلق الكلام بعضه ببعض).«حيث اهتم في كتابه "دلائل الإعجاز" بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام، و أكد معه بأن الهدف من اللغة لا ينحصر في إعلام السامع بمعاني المفردات، و إنما اللغة وضعت للتواصل، فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية، كما أكد في النظم أن اللغة تعمل كمجموعات ذات روابط و

[1]- المصدر السابق، ص59.

[2]- المصدر نفسه، ص59.

[3]- المصدر نفسه، ص57.

علائق معينة، و حين تراعي تلك الروابط و العلاقات بين عناصرها في السياقات المفترضة بين المتكلم و المخاطب تؤدي اللغة وظيفتها في التبليغ والتواصل.»[1]

وفي الأخير فإنّ اللّغة لا تقتصر وظيفتها في إفهام السامع و إعلامه بمعاني المفردات و إنما تتجاوز ذلك إلى تحقيق التواصل، باعتبارها ظاهرة اجتماعية تعمل كوحدة متكاملة ذات روابط و علاقات لا تتحقق وظيفتها إلاّ من خلال مراعاتها لمختلف السياقات التي يمكن أن ترد فيها.

2 – اللسانيات عند الغرب:

تعد اللسانيات من العلوم التي تدرس اللغة دراسة علمية قائمة على الوصف و معاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية و الأحكام المعيارية، متبعة في ذلك طريقة منهجية تنطلق من أسس موضوعية يمكن التحقق منها و إثباتها.

و قد استطاع دوسوسير باعتباره الأب الروحي للسانيات: «أن يوجه بفكره الدراسات اللسانية من منهج تاريخي إلى منهج وصفي، مكنت الباحثين بعدّه نقطة تحول عميقة في مسار اللسانيات الحديثة. إذ قامت أركانها على كشف الجوانب الفيلولوجية للغة برؤية جديدة.» [2]

كما يعدّ "دوسوسير"مؤسس اللسانيات البنيوية: «ذلك أنه أول من ألهم معاصريه بأفكار جديدة عنها، جعلته يشتهر بدراسة العلامة اللغوية كما كان له الفضل الكبير في تأسيس المدرسة الاجتماعية التي ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، غرضها التفاهم و التواصل المتبادل.» [1]

[1]– السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص21.

[2]– نعمان بوقرة، المدارس اللسانية، مكتبة الآداب للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، دت، ص67-78.

وهذه المدرسة تقوم على ركائز أساسية هي اللغة أو اللغة المعينة (العربية، الانجليزية) و الكلام؛ ذلك أن الكلمة عند "دوسوسير" علامة لغوية و العلاقة بين اللفظ و المعنى(الدال و المدلول) اصطلاح غير معلل أي اعتباطي و من ثم فإن دلالة الكلمة مرتبطة بسياقها الذي يوحي بمعناها.

وبعد عشر سنوات من ظهور أفكار "دوسوسير" منشورة في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة)، نشأت في تشيكوسلوفاكيا مدرسة لغوية عرفت باسم مدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية، أسسها العالم اللساني "فاليم ماتسيوس"، و كان وراء ظهورها أيضا: الروسي "تروبتسكوي" و "البولندي "رومان جاكبسون" و "جان موكاروفسكي" و "أندري مارتيني" و غيرهم من اللسانيين، «وأهم ما تميزت به هذه المدرسة عن غيرها من المدارس اللسانية، اعتقادها أن البنى الصوتية و القواعدية و الدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها، و في ذلك خروج عن المبدأ الواضح الذي أرساه "دوسوسير" وتبعه في ذلك البنيويون من أن البنى اللغوية، ينبغي أن تدرس في حدّ ذاتها بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة بوصفها نظاما مجردا مستقلا.»[2]

و تتلخص وجهة النظر الوظيفية في صعوبة الفصل بين البنية اللغوية و السياق الذي تعمل فيه، و الوظيفة التي تؤديها تلك البنية فيه، و بالتالي، ركز أصحاب هذه النظرية في دراستهم على الجانب الوظيفي للغة من الناحية الصوتية و النحوية و الدلالية.

و قد رأى "أندريه مارتيني": «أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، فالوظيفة الإنسانية تؤديها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلافها من مجتمع لغوي إلى آخر، و اللغة عنده ما هي إلا بنى منظمة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء و الأحاسيس و بذلك تتكون الخبرة الإنسانية و من ثم فإن تعلم لغة أجنبية ليس معناها وضع علامات (etiquettes) جديدة للأشياء المألوفة لدى المتكلم،

[1] – المرجع السابق، ص 67-78.

[2] – محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص70.

بل هو اكتساب نظرة تحليلية مفارقة في إطار التواصل بالتعرف على البنى اللغوية الجديدة التي يرى من خلالها الواقع بطريقة مختلفة عن لغته الأم»[1]؛ أي أن اللغة لها وظيفة أساسية و هي التواصل و من خلالها يستطيع المتكلم التعبير عن أحاسيسه و أفكاره وخواطره رغم اختلافها من مجتمع لغوي إلى آخر.

ومن ثم فإن السمة التي تميز اللغة البشرية عن سائر الأنظمة الإبلاغية تتمثل في كونها قابلة للتقطيع المزدوج و هو التقطيع الذي يتبدى في كون الإنسان الناطق يميل بطبيعته إلى التعبير عن أفكاره و رغباته التي يرغب في إيصالها إلى الآخرين، و هذا التقطيع يعدّ من أهم المبادئ التي بنيت عليها أفكار "مارتيني" و قد قسمه إلى نوعين:

أ-تقطيع أولي: « يتكون من الكلمات الدالة أي المونيمات و فيها يرى "مارتيني": أن العلاقات التي تربط بين اللفاظم بوصفها وحدات التقطيع الأول في الملفوظ في أي نظام لساني تتجلى في حالات مضبوطة بضوابط سياقية، تكاد تكون عامة في جميع اللغات و هذه الحالات هي: اللفاظم المكتفية بذاتها، و هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها المستقلة دليل وظيفتها، فالعلاقة التي تربط بين اللفظم المكتفي بذاته ببقية الملفوظات قائمة على أساس دلالته الذاتية بغض النظر عن موقعه في السياق الذي يرتقيه.»[2]

فبواسطة التقطيع الأولي نحصل على وحدات لسانية ذات دلالة (مدلول) و أصوات دال غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر ذات دلالة.

و أمّا هذه الحالات فهي:[3]

[1]- أحمد حسّاني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط6، 1999، ص151.

[2]- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، بيروت،ط1، 2004، ص19.

[3]- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص110- 117.

أ– اللفاظم الوظيفية: هي التي تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى لا يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه،فيكون دورها ضبط العلاقات التركيبية لهذه العناصر المستقلة كالوظيفة التي تؤديها حروف الجر في النظام اللساني العربي.

ب– الركن المكتفي بذاته: أي لا يحتاج إلى غيره و اللفاظم الوظيفية هي التي تربط هذا المؤلف ببقية عناصر الملفوظ و يتألف من لفظمين أو أكثر.

ج– الركن الاسنادي: و هو النواة التي ينبني حولها الملفوظ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كما ميز "مارتيني" بين نوعين من الإلحاق: الإلحاق بالعطف و هو نوع من الإلحاق يبقى فيه الكلام مطابقا في بنيته للجملة النواة بعد حذف العنصر الأوّلي المعطوف عليه، و الإلحاق بالتبعية و يختلف عن الأول من حيث التطابق الوظيفي للعناصر الملحقة ففيه يتميز العنصر الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي.

ب–أما التقطيع الثانوي: «فينطلق من النتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى الفونيمات، أي إلى أصغر الوحدات الصوتية المجردة من المعنى»[1]؛ أي أنه لا يعنى إلاّ بالصورة اللفظية.

ثم جاءت مدرسة كوبنهاغن التي تعدّ من أشهر المدارس اللسانية التي ظهرت في أوربا في مطلع القرن العشرين، وقد أسسها العالم اللساني "يلمسليف" الذي كان يرى أن اللغة شكل و ليست مادة، وأن المادة ليس لها معنى في ذاتها، إذ يمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشاراتية بالنسبة للدوال، أما المدلولات فقد ذهب أبعد من "دوسوسير" و أعلن أن القيم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود، و بهذا فإن: «اللغة نظام من القيم، و إن مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللسانيات المحايثة المتكاملة في ذاتها و المبنية على منهج استنباطي موضوعي.»[2]

[1]– شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص19.

[2]– أحمد مومن: اللسانيات – النشأة و التطور– ، ص125.

كما استبدل ثنائية الدال والمدلول "لدوسوسير" بثنائية مستوى التعبير ومستوى المحتوى أطلق عليها اسم العلامة اللغوية، و قد ركزت المدرسة في اهتماماتها اللسانية على بعض المفاهيم الرياضية عرفت باسم الرياضية اللغوية أو الغلوسيماتية، و هي تقوم على مبدأين أساسين هما:

أ-«مبدأ التجريبية: و يعتمد على الملاحظة و الاختبار، و يجمع بين ثلاثة معايير: اللاتناقض، الشمولية، التبسيط و بها تتكون القاعدة الأساسية لكل التراكيب المنطقية.

ب- مبدأ الإحكام و الملاءمة: التي وردت في محاضرات "دوسوسير" بمعنى الاعتباطية، و عند "يلمسليف" يعني الأحكام، ولكي تكون النظرية ناجعة لا بد أن تكون ملائمة في مقدمته تلبي شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية.»[1]

وعليه، يمكن القول: إن النظرية الغلوسيماتية قد جمعت بين مبادئ النحو التقليدي و مظاهر النظرية اللسانية الحديثة، و بين مسلمات المنطق الصوري و الأسس المعرفية العامة، و إضافة إلى هذا فقد تميزت عن باقي النظريات الأخرى باستخدام الجبر و الرياضيات بصورة فيها نوع من المبالغة.

ثم جاءت مدرسة لسانية أخرى تعرف باسم المدرسة التوزيعية، نشأت على يد "بلومفيلد" و "هاريس"، «اهتمت بتوزيع الكلمات في السياق اللغوي كما تصف اللغة كظاهرة سلوكية تتعلم منها الخطأ و الصواب، "فبلومفيلد" العالم اللساني الأمريكي يبين لنا كيف تتوزع الأشكال اللغوية ضمن مواقعها كتوزيع الصواتم داخل المقطع، واللفظ داخل الكلمة، و الكلمات داخل الجمل، إنها طريقة تعتمد على تحليل الحدث الكلامي عند "بلومفيلد" وفقا لتلك العناصر اللغوية، و العملية التوزيعية التي تحدث داخل السياق التركيبي، أو بعبارة أخرى إنما

[1]- المرجع السابق، ص28.

يمكن تحديده في الدراسة اللسانية التي توقف عندها "بلومفيلد"، أن المتكلم عند تلفظه بالحدث الكلامي فإن ذلك يتم تحت تأثير ظروف معينة (منبه) هذا الأخير يتطلب رد فعل استجابة من المخاطب».[1]

أما المدرسة السلوكية فإن العملية التواصلية من وجهة نظرها لا تعدو أن تكون آلية تقوم على مفهومي المثير و الاستجابة، و قد تطورت على يد اللساني الأمريكي "بلومفيد" الذي كان جادا في تطبيقها و متهيئا لنتائجها و انعكاساتها على وصف بنية النظام اللساني و تفسيرها تفسيرا آليا، مرتكزة على بعض الأسس منها:[2]

-عدم الاهتمام بالجوانب الذهنية مثل العقل و التصور و الفكرة و إبراز ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السلوك الظاهر دون سواه.

-إعطاء أهمية لعملية التعلم في اكتساب النماذج السلوكية.

-التواصل اللغوي في نظر السلوكيين لا يعدوا أن يكون نوعا من الاستجابات لمثيرات ما تقدمها البيئة أو المحيط.

-المتكلم حين أدائه الفعلي للكلام يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع خضوعا مطلق لحافز البيئة دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير و المعنى عند "بلومفيلد" «هو مجموعة النتائج المحصل عليها من خلال الموقف الذي يحدث و يحصل ذلك من خلال عنصرين مهمين هما المثير و الاستجابة.»[3]

فالكلام مبني على الإثارة و الرد في نوع من العطاء و الأخذ للفعل المحرك وفعل الاستجابة من السامع، و الرسالة الكلامية ينحصر معناها في هذا التبادل بجملة بين المنبه و المجيب و ما الكلام إلاّ تحريك للمعنى و للسامع وارتداد منهما نحو اللفظ، و المتكلم، فالأمر يتعلق بوصف أجزاء الكلام التي تحرك و تسبب الإثارة، و الأجزاء التي تنبه ولا تقتضي الجواب، و هذا يستوجب الانطلاق من مدّونة تجمع أصنافا من الكلام في أحوالها ومقاماتها المختلفة لاكتشاف أي الأجزاء يحرك الأجزاء الأخرى.

[1]-حنيفي بن ناصر و مختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2011، ص56-57.

[2]-أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص151-152.

[3]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006، ص59.

ثم ظهرت في أواخر الخمسينيات مدرسة أخرى تعرف باسم المدرسة التوليدية التحويلية على يد اللساني "تشومسكي" بعد نشر كتابه الأول عام(1957)المعروف باسم "البنى التركيبية" و قد كان كتابا صغير الحجم أفكاره غير مقيدة بالتناول العلمي و الفني لقضايا هذا العلم إلى حدّ ما كما أنه عدّ بمثابة ثورة في الدراسة العلمية للغة، تحدث "تشومسكي" عما يسميه النحو و هو تعبير عن الثوابت اللغوية العالمية.

والمدرسة التوليدية التحويلية يقصد بها: «تحويل جملة إلى أخرى أو تركيب إلى آخر، و الجملة المحولة عنها هي ما يعرف بالجملة الأصلية – البنية العميقة –و القواعد التي تتحكم في تحويل الأصل هي القواعد التحويلية؛ أي أنها قواعد تحذف بعض عناصر البنية العميقة أو تنقلها من موقع إلى موقع آخر، أو تحولها إلى عناصر مختلفة أو تضيف إليها عناصر جديدة و إحدى وظائفها الأساسية تحويل البنية العميقة التي تحتوي على معنى الجملة الأساسي إلى البنية السطحية الملموسة التي تجسد بناء الجملة و صيغتها النهائية.»[1]، أي أن طبيعة المفاهيم المكتسبة تكون عميقة وعندما يبدأ بالفهم تكون سطحية.

فميز "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية بين مجموعة الثنائيات نذكر منها: الكفاية و الأداء، فالأولى هي قدرة الفرد على إنتاج عدد لامتناه من الجمل، أما الثانية: فيقصد بها الاستعمال الفعلي للغة، و بيّن مفهومي البنية السطحية و البنية العميقة، فهذه الأخيرة تكون موجودة في الذهن أما الأخرى فهي ذلك التمثل الذي يظهر على السطح لهذه البنية.

كما اعتبر الجملة الوحدة اللغوية الأساسية حيث درسها بمستوييها التركيبي و النحوي و اعتبرها أهم وحدة لغوية وركيزة أساسية تقوم عليها نظريته التوليدية التحويلية.

[1] عبد اللطيف حماسة: الأنماط التحويلية في النحو العربي، الخانجي للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، دت، ص13.

كما نجده يقسم هذه القواعد التحويلية إلى قسمين: «الأولى اختيارية: تحويل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، والثانية إجبارية: نحو وضع الحركات على نهاية الكلمات المعرّبة في اللغة العربية.»[1]

-ومن أهم قواعد هذه النظرية نجد:[2]

1-الحذف: (أ+ب) – (ب).

2-التعويض: (أ) – (ب).

3-التمدد و التوسع: (أ) – (ب+ج).

4-التقلص أو الاختصار: (أ+ب) – (ج).

5-الإضافة أو الزيادة: (أ) – (أ+ ب).

6-إعادة الترتيب (التبادل أو التقديم و التأخير): (أ+ ب) – (ب+ أ).

وبالتالي فإن المدرسة التوليدية التحويلية تركز في دراستها على الجانب العقلي و أهملت الجانب الدلالي.

[1] محمد علي خولي: قواعد تحويلية باللغة العربية، دار المريخ للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 1981، ص 22.

[2] جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تح: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985، ص 32.

الفصل الأول: الارهاصات الأولى لظهور النظرية السياقية

المبحث الأول: السياق عند القدماء و المحدثين

المبحث الثاني: النظرية السياقية عند فيرث

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى لظهور النظرية السياقية.

المبحث الأول: السياق عند القدماء والمحدثين.

1- السياق عند العرب:

حظي السياق باهتمام العرب خاصة في تحديد معاني ودلالات الكلمات ذلك أن تعدد معنى الكلمة يؤدي إلى تعدد احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى، فيقوم السياق إذن بوضع الكلمة داخل التركيب اللغوي من خلال تحديد دلالتها تحديدا دقيقا. ولهذا تناوله كل من اللغويين والنحويين والبلاغيين والأصوليين وعلماء التفسير تطبيقا وتنظيرا.

وقبل أن نتطرق إلى وجهات نظر هؤلاء لمفهومهم له لابد أن نقف عند حدوده في المعاجم العربية، والمفهوم الاصطلاحي في التراث العربي.

1-1السياق في المعاجم العربية:

ورد لفظ السياق في العربية من مادة "سوق" التي يراد بها حدود الشيء. يقال: ساقه يسوقه، سوق، وسياقا. في معنى حذاء، أي دفعه أمامه.

وقد ذهب "ابن فارس" (ت 395 هـ) أن: السين والواو والقاف، وهو حدو الشيء. يقال: ساقه، سوقا، والسيقة، ما استيق من الدواب. [1]

وفي حديث "الزمخشري" قوله: "من المجاز"، يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده.[2]

[1]- أحمد بن فارس : مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979، ج 3، ص 117.

[2]- الزمخشري أبو القاسم محمود: أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج 2، ص 314.

ومنها: انساقت وتساوقت تساوق، إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنز، وما تساوق أي: ما تتابع، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعض.[1]

فيتضح لنا من خلال هذه التعريفات: أن السياق يعني التتابع والتتالي والسرد.

أما مفهومه في الاصطلاح فيمكن تلخيصه في ثلاث نقاط: [2]

1- أنّ السّياق يقصد به الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبر عنها بلفظ السّياق، وكان استعمالها بهذا منضبطا عند الأصوليين.

2- أنّ السّياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو أنزل أو قيل بشأنها وأوضح ما عبر به عن هذا اللفظ الحال والمقام.

3- أنّ السّياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل أو يجعل منها وجها استدلاليا. فالمفهوم الأول له، والذي يحدد مقصود المتكلم إزاء الكلام، و فهو يعني بيان المتكلم الغرض الذي قيل من أجله الكلام، والذي يتمثل في إيصاله إلى غيره، في حين أن المفهوم الثاني يتمثل في مراعاة الظروف والأحداث والمواقف الخارجية التي قيل فيها النص، إذ معناه لا يتحدد إلا من خلال مراعاة ما يطلق أو ما يصطلح عليه بلفظي الحال والمقام أما المفهوم الثالث وهو أدقها، لكونه يرتكز على الكلام بالدرجة الأولى سواء من الناحية النظرية أو التحليلية.

1-2: السياق عند البلاغين.

ارتبط مفهوم السياق عندهم بمفهوم الإعجاز القرآني، حيث تمحورت الدراسات السياقية بشكل خاص حول

[1]- إبن منظور أبو الفضل جمال الدّين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج 10، ص 466.

[2]- ردة الله بن رده بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اللغة، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،ى 1418 هـ، ص 39- 40.

سياق الحال، والقرائن المقالية والمقامية.[1] وأضافوا له كلمة مقتضى، فأصبحت عندهم مقتضى الحال: أي مطابقة الكلام لهذا المقتضى.

واهتم به علماء المعاني منهم "التهانوي" (ت 1158) بقوله: «الحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص؛ أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة في مقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، وتأكيد مقتضاها».[2] فعلم المعاني هنا نفسه العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي ومطابقته لمقتضى الحال. «وقد ربط البلاغيون المقام باللغة بعدها ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها "وهذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة».[3]

أي أنّ اللّغة يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الواحد كونها مرتبطة بثقافتهم التي يمكن تحليلها من خلال تسييقها ووضعها في مقامها المناسب، وتفصيل البلاغين لمقولة:« "لكل مقام مقال"، أن صورة المقال (Event Speech) تختلف في نظرهم بحسب المقام (Context of Altuation) وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك من الأساليب حقيقة أو مجازا».[4]

كما نجد من عباراتهم الشهيرة أيضا: "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام".[5] فوقعوا في الحقيقة على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية وحدها.

[1]- صلاح الدين زرّال: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع هـ، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط 1، 2008، ص 435.

[2]- التهانوي محمد علي: كشاف اصطلاح الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1996، ج 2، ص 125.

[3]- تمام حسان: اللغة العربية ومعناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط، 1944، ص 337.

[4]- المرجع نفسه، ص 337.

[5]- حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة، الإسكندرية، د.ط، 1996، ص 155.

وفكرة المقام التي كانت محور أعمال البلاغيين منهم أبو "الهلال العسكري" (ت335 هـ)الذي «يؤكد على ضرورة مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب ومكاتبة كل فريق منهم على قدر طبقاتهم وقوتهم في المنطق، ويستشهد عن ذلك من فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ إذ أنه لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته[...] فسهل الألفاظ، كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية ولما أراد أن يكتب إلى قومنا العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعاداتهم لسماع مثله ».[1]

أي أنّ الأمر لا يقتصر في أمر المقام على مراعاة حال المخاطبين فحسب بل إن الغرض الذي يكتب فيه كذلك يتحكم في خصائص الخطاب، وكذلك مراعاة ظروف الخطاب التي كتب فيها على قدر فهم السامع. كما يركز المقام على دراسة الدلالة الوضعية لأنها تبرز الجانب الاجتماعي لظهور العلاقات والأحداث والظروف الموجبة لإيراد الكلام على صورة ما بدا، «حيث يؤذي افتقاد المقام أن ترد مفردات مبعثرة، لا تمثل عملا إبداعيا للمعنى اللغوي أو البلاغي: لافتقاد السياق الرابط بين الأجزاء لتأدية معنى معين، فعدم إدراك ألوان المقال سببه البعد عن المقام الذي قيلت فيه، إذ من الضروري لفهم أي نص أن يعاد تصور المقام الأصيل، ويتوقف إدراك النص ويفهم علاقاته على دقة التصور».[2]

فيكون المقام بذلك قد شكل الأساس الذي يبرز الجانب الاجتماعي انطلاقا من الأحداث والظروف التي يرد فيها الكلام، ذلك أن غيابه يؤذي إلى ورود مفردات مبعثرة لا قيمة لها في المعنى اللغوي، لافتقاد السياق الرابط بين الأجزاء المؤذية إلى المعنى.

هذا وإن السياق ارتبط عند الجرجاني بنظرية النظم المطابقة لفكرة المقام محاولا رصده لمختلف السياقات وما يناسبها من أساليب التعبير، «فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو ما يسميه بالنظم الذي هو توخي معاني النحو

[1]– مسعود بودوخة: السياق والدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2002، ص 103.

[2]– حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط 1، 2007، ص 434.

فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام، فالفصاحة لا يمكن أن توصف بها الكلمة مفردة إلا ضمن مجموع السياقات التي ترد فيها».[1] فالمقام إذن معيار جمالي يحكم بمراعاته بلاغة المقال وبلاغة المقام.

1-3: السياق عند النحويين:

إذا انتقلنا إلى الحديث عن السياق لدى النحويين نجد القدامى من علماء النحو انطلقوا من تعريف مصطلح النحو بقولهم: «هو العلم الذي يبحث فيه عن معرفة أحوال أواخر الكلمات من حيث الضبط العربي الصحيح، سواء كانت هذه الكلمات معربة أو مبنية» .[2]

كما ورد مفهومه عندهم أنه: « شبكة من السياقات المختلفة سواء كانت سياقات لغوية أم غير لغوية».[3]

أي أن النحو كان ينظر في القديم إلى أواخر الكلمات من ناحية الإعراب والضبط والمبنى إلا أن هذا المفهوم لم يبق على حاله لأنه تطور وأصبح عبارة عن شبكة من السياقات المختلفة.

وفي حديثنا عن السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي، نجد حلمي خليل يقف عند الأول بقوله: « السياق اللغوي (Languistiq Context) يتمثل في الأصوات والكلمات والجمل، كما تتابع في حدث كلامي معين أو نصّ لغوي».[4]

فهذا المفهوم نلحظ فيه ارتباط النحو ارتباطا وثيقا بمفهوم السياق اللغوي العام يظهر ذلك جليا في دراسة النحويين للجملة ووضعهم القواعد والأصول التي تحكم الترتيب بين أجزاءها، "إذ حين قسموا الجملة إلى: فعلية واسمية وظرفية انطلقوا من النظر إلى التركيب السياقي لا إلى المفردات التي هي وحدات سياقية وليست سياقا لغويا

[1]- المرجع السابق، ص 109.
[2]- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دارسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 111.
[3]- المرجع نفسه، ص 111.
[4]- المرجع نفسه، ص 112.

متكاملا إذ لا تكون كذلك، إلا إذا ركبت معا بحسب ما تقتضيه القوانين النحوية والأصولية".[1] كما اعتنوا بالجملة من ناحية الإعراب، بحسب ما يفرضه السياق اللغوي فمثلا نجد: « "سيبويه" (ت 180هـ) قد اتجه في تحليل الحركة الإعرابية إلى ما يسميه المحدثون بالبنية التحتية فالسياق الظاهر في كل من التعبيرات السابقة لا يشتمل على عامل يؤدي عامل النصب في كل من الكلمات الثلاث، ومن ثم فقد قدر سياق آخر يستقيم معه النصب لهذه الكلمات، وهو الفعل المحذوف المناسب للسياق اللغوي».[2]

ومثله سياق الحال الذي تنبه إليه هؤلاء من خلال ضرورة مراعاته، وخاصة السياق الخارجي، الذي كان دوره بارزا في الكشف عن المعنى العام للجملة أو النص، «وهو لا يقتصر فقط على الغرض العام الذي يساق من أجله الكلام وإنما يتجاوز ذلك مراعاة أحوال المخاطبين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية».[3] فالنحويين واللغويين أثناء مراعاتهم للسياق الخارجي لم يقتصروا على الغرض الذي سيق من أجله الكلام، بل لا بد من مراعاة لأحوال المخاطبين سواء من الناحية الثقافية أو الاجتماعية.

وهذا ابن جني الذي لم يتوان عن تقسيم الكلام باعتبار المقام أو الأحوال المصاحبة للأداء إلى ثلاثة أقسام:« أولها الذي تشاهد فيه الأداء، ونستوضح فيه من مشاهدة الأحوال ما لا يمكن تحصيله من أكابر العلماء إذا غيبت عنهم هذه الظروف، أما ثانيها فهو ذلك الكلام المشفوع برواية الحال وهذا يمثل منزلة وسطى بين النوع الأول وثالثها كلام منقول إلينا، مقطوع عن سياقه مجرد عن ذكر أحواله وأسبابه، وهذا النوع منطقة الخطأ،و موقع الزلل الذي يقع فيه الباحث اللغوي عند إرادة الكشف عن المعنى معتمدا على عنصر المقال وحده».[4]

[1]- عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدامى والمحدثين ، دراسة لغوية نحوية دلالية، ص 112- 113.

[2]- المرجع نفسه، ص 117.

[3]- عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، مكتبة العروبة، القاهرة، د.ط، 1991، ص 61.

[4]- المرجع نفسه، ص 63.

فالكلام عند ابن جني حسب تقسيمه لا يخرج عن مراعاة الأحوال التي ترد حتى وإذا كان هذا الكلام مقطوع عن سياقه ومجرد من أحواله، فإنه يؤدي بنا إلى الزلل والخطأ كونه يعتمد على عنصر المقال وحده.

1-4: السياق عند المفسرين:

أما السياق عند المفسرين فهو وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارع الحكيم، والتفسير عندهم بهذا كما يرى "الزركشي" (ت 794هـ): «هو العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتعريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ». [1]

وعليه فإنّ التفسير عندهم يعتبر أفضل وسيلة لفهم كتاب الله عز وجل واستخراج أحكامه وفهم معانيه، بالاعتماد على علوم عدة كعلم اللغة والنحو والصرف وغيرها كما تحدث "الزركشي" عن كتب غريب القرآن فقال: «ومن أحسنها كتاب المفردات للراغب، وهو يتصيد المعاني من السياق». [2]

ويراها أفضل اعتماد له في استخراج المعاني من سياقه، وفي موضع أخر أرشد إلى ضرورة مراعاة المعنى السياقي وإن خالف أصل الوضع السياقي، لذلك يرى "ابن القيم" (ت 751هـ): «أن السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم». [3]

يتضح من هذا القول أن المفسرين لا يعتمدون على الأخذ بالمعنى الظاهر الذي يتبادر إلى الذهن من أول وهلة، وإنما يتوجّهون إلى معنى أخر يتماشى مع السياق.

---

[1]- الزركشي أبو عبد اللّه: البرهان في علوم القرآن، تر محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص 13.

[2]- مسعود بودوخة : السياق والدلالة ، ص191.

[3]- المرجع نفسه، ص 128.

أما "السّيوطي" (ت 911هـ) فإنه يرى أن التفسير: «يكشف عن معاني القرآن ويبين المراد منه سواء أكانت معاني لغوية أم شرعية بالوضع أم بقرائن الأحوال ومعونة المقال».[1]

أي أن التفسير يعني الكشف، أو البيان، أو الإيضاح عن المعنى المراد من خلال استعمال القرائن سواء كانت حالية أم مقامية.

وقد وضع المفسرون في تفسير القرآن شروطا، يصب معظمها فيما يسمى عندهم بالمقام، وما يحيط بالنص القرآني من ظروف وملابسات، «إذ لا بد للمفسر من الوعي بها، قبل مباشرته في تفسير القرآن الكريم زيادة على اشتراطهم التمكن من دقائق العربية وأحكامها الصوتية والبنائية، والتركيبية، والدلالية، معرفة أوجه الإعجاز على مستوى النظم واللفظ والدلالة، وما تجري عليه لغة القرآن من إيجاز، وتشبيه واستعارة، وتلاؤم الحروف، والكلمات، والفواصل، والمقاطع في الآيات وغير ذلك مما يدخل في السياق اللغوي، وما يتطلبه من استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه ».[2]

كما اشترطوا الوعي بالسياق اللغوي وأحكامه. أما على مستوى سياق الحال، فقد اشترطوا المعرفة بأسباب النزول والأحداث، والوقائع الملابسة لنزول الآية أو النص القرآني المعين، ذلك أن عدم الوعي بأسباب النزول كما يرى المفسرون قد يؤذي إلى فقدان المعنى المراد من الآية المعيّنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنفال/ الآية 75، فقد جاء في سبب نزولها « عن ابن عباس أن الرسول – صلى الله عليه وسلّم– قد آخى

[1]– مسعود بودوخة : السياق والدلالة ، ص 127.

[2]– هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2008، ص 219.

بين أصحابه، فجعلوا يتوارثون بذلك، حتى نزلت الآية الكريمة، فتوارثوا بالنسب، فسبب النزول يوضح عدم جواز توارث في غير ذي النسب من الأرحام، وبذلك لم يعودوا يورثون غيرهم».[1]

كما اعتمد المفسرون على مجموعة من القرائن المقالية والحالية في فهم دلالة الآيات القرآنية التي تمثل السياق بنوعية اللغوي وغير اللغوي، فالقرائن المقاليّة نقصد بها: «أن يعتمد في شرح دلالة الوحدات الدلالية على ما يجاورها (يسبقها أو يلحقها) من وحدات أخرى، إذ أن أبرز ما يتجلى فيه أثر السياق في تحصيل المعنى هو كون الوحدة اللغوية، تستمد معناها أو جزءا منه من الوحدات التي تحيط بها».[2]

وبالتالي تشكّل القرائن المقاليّة خير عون في تفسير وفهم دلالة الآيات القرآنية، فلا بد للمفسر أن يعتمد على تسييق الوحدات؛ أي مراعاة السياق الذي ترد فيه الوحدات الدلالية من خارج النص القرآني.

أما القرائن الحالية: «تشكل ظروف الخطاب وملابساته وتقابل سياق الحال أو المقام في النظرية الغربية الحديثة، وتشكل الظروف والملابسات التي حفت بنزول القرآن والخلفيات الهامة في فهم معنى الآيات ودلالتها ومن أهم عناصرها نجد: المتكلم وما يتصل به المتلقي وما يتصل به، العلاقة بين المتكلم والمتلقي، الموقف الكلامي والظروف الخارجية للخطاب».[3]

وبالتالي يمكن القول أن السّياق كان وسيلة فعالة في أيدي المفسرين الذين أدركوا أهميته واستفادوا منه في استجلاء المعنى واستنباط الدلالة وتحليل الخطاب القرآني.

[1]- هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص 219.

[2]- مسعود بودوخة: السياق والدلالة، ص 129.

[3]- المرجع نفسه، ص: 132.

1-5: السياق عند علماء الأصول

للأصوليين اهتمام كبير بالسياق، وهذا راجع إلى تفطّن هؤلاء إلى أن اللّغة ظاهرة اجتماعية، لابدّ فيها من ملاحظة السياقين اللفظي والحالي (المقامي) للوقوف على طبيعة النص دلاليا، وقد استعمل بعضهم مصطلح السياق في وقت مبكر خاصة عند « الإمام الشافعي (ت 204هـ) الذي يعد أول من ألف في علم الأصول في معرض كلام له في كتاب "الرسالة" حول اللسان العربي، فاعتبر السياق قيمة مرجعية لفهم النص واستنباط أحكامه واستخراج معانيه».[1]

كما استعمل "الغزالي" (ت 505هـ) مصطلح السّياق في أكثر من موضع وجعله ضربا من ضروب الدلالة سماه: "دلالة سياق الكلام"، وقصد به فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام، ومقصوده كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب نحو قوله تعالى:﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾. سورة الإسراء/الآية 23 ؛فهم تحريم أكل مال اليتيم وإهلاكه والعبث به من خلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾.سورة النساء/الآية 10.

كما قسّم الأصوليون الألفاظ إلى عام وخاص، ومشترك، والنص على أن العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوصه. فيخرج اللفظ من العموم إلى الخصوص كما هو الحال في بعض أسماء الشّرط، ولا يقتصر السياق على ما تجاور من وحدات لغوية فقط، بل إن القرآن الكريم هو سياق عام، يفسر بعضه بعضا، حين لاحظوا أن هناك تعارض بين قوله تعالى في عدة الحامل: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾.سورة البقرة/الآية 234، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾.سورة الطلاق/الآية 4

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: الأطروحة السابقة، ص 131.

«فدفعوا هذا التعارض باعتبار الآية الثانية مخصصة لعموم الآية الأولى وهذا باعتبار القرآن كله مدوّنة القرآن كلّه مدونة؛ إذ الآيات يفسّر بعضها بعض».[1]

ويتضح من خلال هذه الإشارات أنّ الأصوليين يرجعون الأصل النظري لعنصر السياق ودوره في عملية الأداء اللغوي ووظيفة اللغة الإبلاغية، وتنبههم إلى أثره في فهم النص اللغوي والتعامل معه، وأثره في فهم نظرية المعنى عندهم، لذا انطلقت تحليلاتهم للنصّ من طريق تطوير الموقف الذي قيل فيه.

وفي الأخير نستطيع القول أنه لما كان الكشف عن المعنى يمثل الهدف الأسمى الذي يسعى إليه اللغويون والأصوليون والمفسرون وعلماء البلاغة، فقد تضافرت جهود هؤلاء جميعا في صياغة الأسس النظرية والتطبيقات العلمية للنظرية السياقية عند العرب نستخلص جملة من الأسس هي:[2]

1) الجملة وحدة التحليل الدلالي: أدرك علماء العرب أن الكلام الإنساني هو كل لفظ مستقل بنفسه، مقيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل، إذا كان الكلام هو الجمل على اختلاف تركيبها: فإن وحدة الكلام حينئذ. تكون هي الجملة وليست الكلمة المفردة باعتبار الجملة وحدة للتحليل الكلامي يمثل واحدا من الأسس الهامة في نظرية السياق عند العرب.

2) مراعاة المقام أو السياق الخارجي: فقد اهتم اللغويون العرب وعلماء التفسير والحديث والبلاغيين بوجه خاص بمعرفة المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث كمعرفة حال المتكلم أو السامع أو البيئة العامة أو سبب نزول الآية وغير ذلك من العناصر غير لغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد من النصّ.

[1]- هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 224.

[2]- عبد العليم البركاوي : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء السياق ، ص 57-58-71-73.

3) قيود التوارد: ويمثل الأساس الثالث من الأسس السياقية العربية ويقصد بها توافق الوحدة المعجمية عما يجاورها في الجملة من سائر الوحدات الأخرى، فإن كان ثمة تلاؤم بين الوحدات ووصف الكلام بالاستقامة، وإن لم يكن الأمر كذلك وصف الكلام بالكذب والخطأ.

4) مراعاة كل الوظائف التي تنهض بها الوحدات اللّغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية) عند فهم النّصوص ويطلق عليها مصطلح الوظائف.

وبالتالي يمكن القول أنها من أبرز الأسس التي قامت عليها النظرية السياقية عند العرب وتطرق إليها كل من اللغويين والنحويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين.

2 – السّياق عند الغرب

لقد أصبحت النظرية السياقية الشغل الشاغل لكل اللغويين وعلى رأسهم الغربيين؛ إذ يعد السّياق عندهم حجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية والتي أسسها فيرث في بريطانيا، والتي وسع فيها نظريته بمعالجة جميع الظروف لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقولة بأن المعنى وظيفة السّياق .

« كما عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة».[1] لذلك نجده ينص على أن اللغة لا بد أن تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها لأنها مزيج من عوامل العادة والعرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع وذلك لأننا عندما نتكلم فإن هذه العوامل تشكل لنا خلق فعلي ملفوظ، ونتاج لغتنا وشخصيتنا وأساليبنا.

[1]– أحمد مختار: علم الدلالة، ص 68.

هذا وقد تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى كالنظرية الإشارية التي قامت على يد كل من "أوجدن" و"ريتشاردز" اللذان ظهرت أفكارهما في كتابهما "معنى المعنى"، والنظرية التصورية أو العقلية للفيلسوف "جون لوك" والنظرية السلوكية عند "بلومفيلد". وعلى الرغم من ذلك لم تستطع هذه المناهج التي ظهرت قبل "فيرث" أن تقدم لنا فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدد على يديه لكي تصبح نظرية دلالية متكاملة الجوانب، إذ أخذ اللغويون الاجتماعيون على علم اللغة الحديث إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللّغة.

وقبل التطرّق إلى الإرهاصات الأولى للنظرية السياقية عند الغرب لا بد لنا من التطرق إلى مفهوم السياق في المعاجم الغربية.

2-1السياق في المعاجم الغربية

-ورد السياق في المعجم الفلسفي بالفرنسية (Contexte) وفي الانجليزية (Context)سياق الكلام: «أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث (Processus) مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها، وإذا جاء مخالفا وجب البحث عن علة هذا الخلاف نقول: سياق المرض وسياق الظواهر النفسية والاجتماعية».[1]

-جاء في قاموس اللسانيات ل"جون ديبوا" تعريف آخر له كالآتي: « السياق هو المحيط، وهو الوحدات التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة».[2]

[1]- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص 26.

[2]- مسعود بودوخة: السياق والدلالة، ص 40.

-أمّا معجم "روبير الصغير" فيعرفه بأنه: «مجموع النص الذي يحيط بعنصر من اللغة (كلمة، جملة، منطوق معين...) حيث يتعلق به معناه وقيمته».[1]

-وفي قاموس الجيب هو: « ما يصاحب، يسبق أو يتبع نصا للتوضيح».[2]

-وفي قاموس السيميائيات "لغريماس وكورتيس" فالسياق: « مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة وتتعلق بها الدلالة حيث يمكن له أن يكون صريحا أو لسانيا، ويمكن أن يكون ضمنيا ويتميز في هذه الحالة سياق خارجي لساني أو مقامي».[3]

وعليه فإن هذه التعريفات توضح لنا أن السياق هو أسلوب أو مجرى الكلام أو المحيط أو مجموع النصوص التي تساير وحدات تركيبية معينة وتكون متعلقة بالدلالة كما يمكن له أن يكون صريحا أو ضمنيا أو لسانيا.

ثم إنّ البداية الحقيقية للنظرية السياقية في الغرب تمثلت كذلك في الجهود التي بذلها "مالينو فكسي" «عندما حاول ترجمة كلمات مستقلة أو جمل منعزلة من إحدى اللغات البدائية المحدودة الانتشار إلى الانجليزية».[4]

وينبع اهتمامه هنا باللّغة في عمله في جزر التروبرياند في جنوبي المحيط الهادي حيث كان يركّز بشكل خاص على فشله في إنتاج أي ترجمة مرضية للنصوص التي سجلها، مثال سجّل تفاخر لصاحب زورق Coneit ترجمه إلى: نحن نسير الخشبة الأمامية في أنفسنا ونحن نلتفت ونرى صاحبتنا، إنه يميز الخشبة الخلفية، وفي ذلك يقول « إن لهذا القول معنى فقط إذا وضعنا الجملة في السياق الذي استعملت فيه أصلا؛ إذ سيكون واضحا أن الخشبة مثلا تسير إلى مجداف الزورق. فهو بذلك يقرر رأيه في وظيفة اللغة واستخداماتها حين يذهب إلى: أن اللغات الحية يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة مقطوعة عن سياق حالتها، بل يجب أن ينظر إليها كما يستعملها الناس لصيد الحيوانات البرية، وصيد الأسماك إن اللغة كما تستخدم في الكتب ليست القياس أبدا، إنها تمثل وظيفة طارئة

[1]- على آيت أوشن: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 31.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

[3]- المرجع نفسه، ص 32.

[4]- عبد العليم البركاوي : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء السياق ، ص 48.

ثانوية للغة لأنها لم تكن أصلا مرآة للفكرة المعكوسة، فاللغة كما يقول "مالينو فيكسي": أسلوب عمل وليست تصديق للتفكير».[1]

كما لاحظ "مالينو فسكي" أن الطفل تماما في المرحلة البأبأة يستعمل كلمات لقوى فعالة في تعامله مع العالم من حوله، وللرجل البدائي كذلك تكون الكلمات قنوات مهمة بالنسبة "لمالينو فسكي" كما يقول: «هناك الشيء المشترك الكثير بين الكلمات والسحر لأن كليهما يعطيانه القوة».[2] أي أن الكلمات تلعب دورا كبيرا في التعبير عن المعنى.

ويقول "بالمر" « وتنفع ملاحظات "مالينو فسكي" عن اللغة صيغة عمل في تفكيرنا بأن اللغة ليست مجرد إفضاء معلومات غير أن هناك سببين يمنعاننا من الموافقة الكلية على رأيه فالأول: أنه اعتقد أن جانب اللغة كصيغة عمل كان في أجلى حالاته في الحاجات الأساسية للإنسان ممثلة لغتي الطفل والإنسان البدائي حيث افترض أن اللغة التي يدرسها كانت أكثر بدائية من لغتنا، وبهذا تكون أوثق ارتباطا بالحاجات العملية للمجتمع البدائي، وافترض بالتالي: أن مصاعب الترجمة تعود إلى حد كبير إلى الاختلافات في طبيعة اللغات وأن الحاجة إلى الاستشهاد بسياق الحال تصبح أكثر أهمية عند التعامل باللغات البدائية ، لكن "مالينو فسكي" كان مخطئا إذ على الرغم من أنّ هناك أقوام بدائية تعوزه المعرفة والمهارة الموجودة عند الأقوام المتحضرة، فلا يصح أن نعتبر لغة ما بدائية وطبيعي أنّ هناك لغات كثيرة لا تملك مفردات المجتمع الصناعي الحديث لكن هذا يعكس اهتمامات المجتمع وليس الطبيعة البدائية للغة وبعبارة لغوية بحتة يبدو أكيد أن ليست ثمة لغة يمكن الحكم عليها بأنها أكثر بدائية من غيرها على الرّغم من أن "مالينو فسكي" لم يكن الباحث الوحيد الذي يدلي بهذا الافتراض الخاطئ».[3]

[1]-بالمر: علم الدلالة ، ترجمة الماشطة، الجامعة المستنصرة، العراق، د.ط، 1985، ص 61.

[2]- المرجع نفسه، ص 62.

[3]- المرجع نفسه، ص 62.

إنّ مصاعب الترجمة التي لاحظها "مالينو فسكي" تنجم فقط عن اختلافات بين اللغات وليس من حقيقة أن بعضها أكثر بدائية من غيرها أما الثاني فهو: «أن أراء "مالينو فسكي" لا توفر أساس لأيّ نظرية دلالية عملية، وأنّه لايناقش حتى الطرف التي يمكن أن يعالج بها السياق بصورة منتظمة بغرض إصدار بيان المعنى».[1]

فعلى الرّغم مما قام به "مالينو فسكي" من جهود إلاّ أنّ نظريته لاتوفر الأسس التي يمكن أن تنبني عليها أيّة نظرية دلالية عملية، كما أنه لا يقدم الطرف التي يمكن بها تناول السياق بأسلوب منظم، كي يفيد المعنى كما أنه ينظر إلى اللغات البدائية على أنها لغات مختلفة عن اللغات الأخرى حتى وإن كانت أكثر تحضرا.

ومع ذلك فقد كانت مقولات هذا اللّساني تَشي بجملة من المبادئ الواضحة التي أثرت في الفكر اللغوي حيث ذهب إلى أن: «اللّغة ليست مجرد أداة لتوصيل الأفكار، بل هي في المكان الأول جزء من نشاط إجتماعي متسق، وفي اللحظة التي تفصل فيها الكلمة عن سياق هذا النشاط الذي يغلفها، أو عن سياق الموقف الذي تستخدم فيه تصبح كلمة جوفاء غير ذات مغزى لأن الألفاظ لا يمكن أن توجد في فراغ».[2]

فاللّغة ليست أداة لتوصيل الأفكار فقط، بل هي نشاط اجتماعي متسق لا يمكن أن تفصل فيها الكلمة عن سياق هذا النشاط الاجتماعي، لأنه إذا فصلت الكلمة عن سياقها الاجتماعي، تصبح حينئذ لا مغزى لها، لأن الألفاظ لا تأتي من العدم.

وفي هذا يذهب "مالينو فسكي" إلى تقدير أثر السياق الخارجي في أداء اللغة لوظيفتها حيث يقول: « إن اللّغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع الدائم إلى المحيط الأوسع، وهو الظروف التي يتم فيها النطق».[3]

[1]- المرجع السابق، ص62.

[2]- ردة بن ردة بن ضيف الله الطلحي :الأطروحة السابقة، ص 185.

[3]- الأطروحة نفسها، ص 186.

إنّ هذه المبادئ التي بشّر بها "مالينو فسكي" قادته إلى التعمق في السلوك اللغوي بإزاء أنماط السلوك الإجتماعي المختلفة، ليضيف جانبا للسلوك اللغوي الإجتماعي أسماه التجامل يقول "جون لاينز" في ذلك: «عندما كان "مالينو فسكي" يلفت النظر إلى حقيقة أن كثيرا من تفوهاتنا لا يقصد بها أساس التفاهم أو البحث عن المعلومات أو إصدار الأوامر أو التعبير عن الأعمال أو الأمنيات [...] ولكن تستعمل لخلق شعور بالتفاهم الاجتماعي والمجاملة، فكثيرا من التفوهات المعدّة أصلا فمثلا ? How do you do المحدّدة اجتماعيا في نصوص معينة تخدم هذا الغرض».

وخلاصة فكرته عن السياق تظهر بوضوح في قوله: « الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطا لا ينفصم،وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ».[1]

فنظريته هذه تركت صدى واسعا ومختلفا بين التأييد والتقييد عند من جاء بعده وبذلك فقد قدم مفهوما جديدا للغة وهو سياق المجتمع الذي أنتج اللغة ومن ذلك قوله: « السياق هو البنية الطبيعية، أو الواقع الثقافي للمجتمع ثم تطور باستعمال "فيرث له" في دراسة لغوية».[2]

ثم جاء بعده العالم الفرنسي "فندريس" الذي اهتم بسياق المقال لا سياق الحال يقول في ذلك:« إنّنا حيثما نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد، في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما إذ لايطغو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها تنمحي وتتبدد ولا توجد إطلاقا» [3] ؛ أي أننا قد نجد للكلمة الواحدة عدة معاني إلا أن استعمالها في السياق يعطيها معنى واحد لا غير.

---

[1]- الأطروحة السابقة ، ص 186.

[2]- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2، 1997، ص 310.

[3]- فندريس: اللغة تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، دب، دط، 1950، ص 228.

ويشير "فندريس" إلى أهمية السياق في التحليل اللغوي فيقول: «إنّ الذي يعين قيمة الكلمة هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، وهو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، وهو أيضا يخلص الكلمات من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية».[1]

ومن ثم إنّ للسّياق إذن دورا كبيرا في تحديد قيمة الكلمة من خلال استعمالاتها وكذا تخليصها من الدّلالات السّابقة التي تتبادر إلى الذهن، وهو الذي يعطيها قيمة حضورية لا غيابية؛ ففي مجال تحديد معنى الكلمة المناسب، ويعمد إلى إبعاد كل ماخلا من معاني ذهنية مرتبطة بهذه الكلمة دون السياق بقوله: «ترى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعض، فإذا كانت منها واحدة غير مألوفة لنا، والواقع هناك دائما فترة في حياتنا نسمع فيها الكلمة لأول مرة، حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص، وهذه هي الخطة التي يتبعها التلاميذ عندما يحاولون ترجمة نص أدبي».[2]

كما حدّد "ستيفن أولمان" مفهوم السّياق بقوله: « أنه ينبغي أن لا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية (السّابقة واللاّحقة)، بل يشمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة ، لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن».[3]

فالسّياق لا يقتصر على الكلمات والجمل فحسب، بل لابد أن يشمل كذلك كل ما يتصل بهذه الكلمات أو الجمل من ظروف وأحوال وملابسات متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه.

[1]- المرجع السابق، ص 228.

[2]- المرجع نفسه، ص 252.

[3]- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب بالنيرة، دب،دط، دت، ص 57.

لذلك نجد "أولمان" يؤكّد على أهميته بقوله: «إنّ نظرية السّياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، إنّها مثلا قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثبات وفوق هذا كله، فقد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما أسماه "فيرث" ترتيب الحقائق في سلسلة من السّياقات أي سياقات ينطوي كل واحد منها ضمن سياق آخر، وكل واحد منها وظيفة لنفسها وهو عضو في سياق أكبر، وفي كل السياقات الأخرى، وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه بسياق الثقافة».[1]

كما نجد "جون لاينز" كذلك يتحدث عنه بقوله: « السّياق يحدد معنى الوحدة الكلامية على ثلاثة مستويات متميزة في تحليل النصّ، فهو يحدد أولا الجملة ثم نطقها، إن تم فعلا النطق بالجملة، ثانيا أنه يخبرنا عادة أية قضية ثم التعبير عنها، وثالثا أنه يساعدنا على القول إن القضية تحت الدرس قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة اللاكلامية دون غيره ولكن معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا، إذ أنه يتضمن أيضا ما هو مقصود ضمن أو من يفترض مسبقا، وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدة الكلامية».[2]

فهو لا يكتفي بتحديد معاني الوحدات الكلامية فحسب بل يتناول كذلك جانبها الآخر وهو الوحدات غير الكلامية قدمها هؤلاء الباحثين اللغويين في الدراسات اللغوية الحديثة إلا أنها لم تقدم فكرة السياق كما قدمها "فيرث"، الذي تأثر بعمل الأنثربولوجيين، وتفكيرهم وعلى رأسهم "مالينو فسكي"، فقد تأثّر به وخاصة فيما يتعلّق بسياق الحال فأعطاها معنى عاما مجردا، ولكن إذا كان سياق الحال بالنسبة "لمالينو فسكي" هو: «محيط الكلام الطبيعي الفعلي، فهو بالنسبة "لفيرث" حقل من العلاقات علاقة بين أشخاص يقومون بأدوارهم في

[1]- المرجع السابق، ص 61.

[2]- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تر. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون للثقافة العامة،دب، دط، 1987، ص 222.

المجتمع معتمدين في ذلك لغات مختلفة ومرتبطة بحوادث وأشياء، أمّا المعنى في نظر "فيرث" هو: « تلك الشبكة العامة للعلاقات والوظائف التي تستعمل فيها كل المفردات».[1]

من ذلك قوله: « أني أقترح تقسيم المعنى والوظائف إلى مجموعة من الوظائف المكونة وما الوظيفة إلا ضربا من استعمال شكل أو عنصر من لغة معينة حسب سياق معين وينبغي علينا أن ننظر إلى المعنى على أنه مركب من العلاقات السّياقية حيث تعالج كل من القواعد والدلالة والصوتيات وصناعة المعاجم، مكوناتها في السياق الملائم لهذا المركب».[2]

"ففيرث" حاول من خلال نظريته إعطاء مفهوم شامل وواسع للسياق بحيث يشمل السياق الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي ولا يظهر المعنى المقصود إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة.

ذلك أن معنى الكلمة في نظره هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤذيه، ولهذا يصرح بأن: المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة ويقول أصحاب هذه النظرية: «معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها».[3]

وعليه فإنّ من أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباط الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه.

[1]- أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ص 178.

[2]- المرجع نفسه، ص 178.

[3]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 68.

وقد ذكر "ليتش" أنّ: « فيرث تأثر في نظريته السياقية بالأنتروبولوجي البولندي "مالينو فسكي" الذي عرف عنه في دراسته للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمعات البدائية، أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة وليست كأداة للانعكاس، اللغة في حركتها والمعنى كما يستعمل ينظر إليهما على أنهما شعار مزدوج لمدرسة فكرية».[1]

وقد أيدت النظرية السياقية "لفيرث" Wittgenstein الفيلسوف كون معنى الكلمة:« هو استعمالها في اللغة ويقول "برتراند راسل" : « الكلمة تحمل معنى غامض لدرجة ما ولكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، أي الاستعمال يأتي أولا حينئذ يتقطر المعنى منه».[2]

أي أن الكلمة لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها الذي جاءت فيه.

وقد دعا "هاليداي" إلى أن:«الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة أو استعمال وحدتين معجمتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين بالواحدات الأخرى، ومن أمثلة ذلك ارتباط كلمة منصهر مع مجموعة الكلمات: حديد، نحاس، ذهب، فضة ولكن ليس مع جلد مطلقا، وعدم تلاؤم جلد مع هذه المجموعة لايكفي لعدم صحة الإرتباط أو توافق الوقوع بين جلد ومنصهر ولذا يلجأ إلى الدليل الشكلي لإثبات عدم الملائمة، وسيثبت الدليل الشكلي أن الحديد والنحاس والذهب تتقاسم عددا من الترابطات الصلابة والثقل والبريق والبرودة التي لا توجد في مجموعة الجلد وإنما يوجد بدل من صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون». [3]؛ وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة على هذا يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها أو تبعا لتوزيعها اللغوي.

كما نجد Kammer يقسم السياق إلى أربعة أقسام:

[1]- المرجع السابق، ص 72.

[2]- المرجع نفسه، ص 72.

[3]- المرجع نفسه، ص 74.

1-السياق اللغوي: Linguistic Context هو «حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة المتجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاص محدد والسياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص، فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام ويتصف بالاحتمال على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد والاشتراك أو التعميم».[1] كما نجد السياق اللغوي عند "حلمي خليل" يتمثل في: «الأصوات والكلمات والجمل، مع تتابع في حدث كلامي معين أو نص لغوي» [2]، ويمكن التمثيل له بكلمة: «good الانجليزية ومثلها كلمة حسن في العربية أو زين بالعامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لأشخاص مثل رجل، امرأة، ولد أو أشياء مؤقتة : وقت، يوم، أو مقادير مثل: الملح، دقيق فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصف لطبيب تعني التفوق في الأداء، وإذا وردت وصف لمقادير أي أن معناها الصفاء والنقاوة».[3]

ثم إنّ السياق اللغوي يشمل على مكونات أساسية وهي: [4]

أ. **السياق الصوتي:** يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، وليس مجردا من حيث كمية الهواء اللازم لإنتاجه، والجهد، ودرجات الجهد والهمس وسواها، وهنا تبرز ظاهرة الألوفون ودورها الوظيفي في بيان درجات التنوع الشرطي للأصوات، لذا فإن الفونيم يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل منظومة السياق على وقف محتواها الوظيفي: قال، نام، كال، صام، حام، إذن ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق الذي يعتبر المكان الآمن الذي

[1]- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص 355.

[2]- حلمي خليل: الكلمة، ص 161.

[3]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 69.

[4]- عبد القادر الجليل : علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء، عمان، ط1، 2002، ص 542- 546.

تؤذي فيه الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات، أما قرائن الصوت ذات الدلالة السياقية فتكمن في الفونيمات فوق التركيبية والصوائت.

ب. السياق الصرفي: المورفيمات سواء كانت حرة أو مقيدة أو محايدة لا قيمة لها إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين، ومثلها أحرف المضارعة وسواها، فالبناء الصرفي يقود إلى دقة الانتساب للباب، ولكن هذا خارج نطاق السياق الصرفي الذي يتكون من المورفيمات، وهي تمارس وظيفتها داخل النص.

السياق الصرفي = معنى الصيغة الوظيفية + معنى الزوائد أو اللواحق.

ج. السياق النحوي: شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل (الإعراب)، وهو قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية، وقد عده بعض النحاة القدامى أصلا وأساسا لبيان الدلالة، وأنه كل النحو والقرينة السياقية الكبرى، وعندهم به يبين المعنى، ويميز ركب المعاني ومن خلاله يقف على أغراض المتكلمين. وقد أضافوا قرينة المرتبة مثل ضرب موسى عيسى، كالتقديم والتأخير شرط وضوح الغاية وعدم التباسها.

د. السياق المعجمي: وهو مجموع العلاقات الصوتية التي تتظافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين، يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة، هذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب، ونحن لا نقصد معنى المفردة لوحدها داخل السياق، وإنما مجتمعة مع دلالات الوحدات الأخرى المكونة.

هـ. السياق الأسلوبي: يظهر في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللغة العادية لما يمتلكه من قوة النسج، وجدارة البناء وقوة التوالد الدلالي، لأنه ملك الفرد ذاته ومن حقه أن يمارس طاقته الإبداعية والإنتاجية في خلق

أجيال جديدة من التراكيب التي تنهض على مستوى فني عالي النسيج. وهذه إذن أهم مكونات السياق اللغوي وكل واحدة منها تلعب دورا أساسيا ولها وظيفة تمييزية داخل المنظومة اللغوية.

2-سياق الحال أو سياق الموقف Situation Context: وهو « يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعا لتغير الموقف، ويمثل العالم الخارجي بما له من صلة من الحدث النحوي أو النص ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام».[1] ويتضمن سياق الحال ثلاثة أمور هي: [2]

أ-كلام المشاركين في الحدث الكلامي الصادر عنه.

ب-الحدث غير الكلامي عندهم ويقصد به أفعالهم وسلوكهم أثناء الكلام.

ج-بيان شخصية المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي وكذا من يشهد الكلام من غيرهم، إن وجدوا وبيان علاقتهم بالسلوك اللغوي وهل يقتصر دورهم على مجرد الشهود والنصوص التي تصدر عنهم.

3-السياق العاطفي Emational Context: هو« الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، حيث يحدد السياق العاطفي درجة انفعال قوة وضعفا، إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه الغضب والشدة والانفعال».[3]

-وهو الذي يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتها تختلف، مثال ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: « (اغتال) و(قتل)، بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذان يصاحبان الفعل، فإذا كان

[1]- حسين عبد الرضا الوزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، دب، ط1، 2011، ص 425.
[2]- المرجع نفسه، ص 425.
[3]- أحمد قدور: مبادئ في اللسانيات، ص 357.

الأول يدل على المغتال ذو مكانة اجتماعية عالية، وأن الاغتيال كان لدوافع سياسية؛ فإن الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية وأن آلة الاغتيال فضلا على أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية».[1]

4- السياق الثقافي Cultural Context: وهو:« القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمنه دلالة معينة، وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة».[2]

ويقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، ويتجلى السياق الثقافي:«استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد».[3] مثل كلمة: « "Looking" تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة "Mirro" وكذلك كلمة "Rich" بالنسبة لكلمة "weathly " ».[4] ولعل أهم ما يميز هذه النظرية مايلي: [5]

1-أن "فيرث" لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة فنجا من النقد الموجه إلى الاتجاهات الاشارية، التصورية والسلوكية التي قال بها "أوجدن" و"ريتشاردز"و"بلو مفيلد"، إنه حاول أن يكون المنهج بدراسة العلاقات داخل اللغة.

[1]- عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2001، ص 90.
[2]- المرجع نفسه، ص 90.
[3]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 71.
[4]- المرجع نفسه، ص 71.
[5]- المرجع نفسه، ص 73.

2-البعد عن فحص الحالات العقلية الداخلية التي يصعب تفسيرها ومعالجة الكلمات باعتبارها أحداث وأفعال وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بها. ورغم الجهود التي قدمها "فيرث" في فهم النظرية السياقية فقد وجهت له عدة انتقادات منها: [1]

1- أنه لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، والمتقن فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك، مع أن المعنى يجب أن يعتبر مركب من العلاقات السياقية ومن الأصوات والنحو والمعجم والسيمانتيك كما أنه لم يكن محددا في استخدامه لمصطلح السياق Context مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف غامضا غير واضح وبالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.

2- كما أنه اتهم بالغموض في استخدام مصطلح (معنى) لأن سياق الحال يعالج المعنى بالمفهوم المعتاد (الدلالي) والمستويات الأخرى النحوية وغيرها) ليست معنية بالمفهوم نفسه، ولهذا "ففيرث" يستخدم المعنى بمفهومين مختلفين، مفهوم تقليدي ومفهوم سلوكي.

3- أنّ "فيرث" لم يحدد جيِّدًا مدلول مصطلح السياق Context وبالغ في التعويل عليه في شرح الظاهرة اللغوية.

« هذا المنهج مفيدا لمن يعرف الكلمة ويريد معرفة استعمالاتها السياقية الأخرى، ولكنه لا يقدم مدلول الكلمة الواحدة لمن لا يعرفها».[2]

وإجمالا فإن فكرة السياق التي تحولت إلى نظرية عرفت بالنظرية السياقية على يد "مالينوفسكي" و"فيرث" وأتباعها وأنصار المدرسة الاجتماعية الذين كانوا يقولون بما ينادي به "مالينو فسكي" من التأكيد على العنصر الاجتماعي للغة، ويكفي القول أن نظرية "فيرث" استطاعت أن تفسر وتوضح الكثير من القضايا الدلالية، كما أنها أعادت الاعتبار إلى الجوانب الأخرى غير لغوية.

[1]- المرجع السابق، ص 73.

[2]- خليفة بوجادي : محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 185.

المبحث الثاني: النظرية السياقية عند فيرث

إن المطلع على المدارس اللسانية السابقة سيجيد حتما أن لكل مدرسة لسانية أسسا ومبادئ قامت عليها. وكذا بالنسبة للنظرية السياقية التي سنتعرف على أسسها ومنهج الدراسة فيها، إضافة إلى أهم المجالات أو القضايا التي بنى عليها هذا العالم رؤيته اللسانية.

1 – التعريف بصاحب النظرية:

"جون فيرث": John Firth (1890-1960) "ولد فيرث بيوركشير سنة 1890، ودرس التاريخ قبل أن يلتحق بالخدمة الوطنية ويجوب مختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى"[1].

" وكان من حسن حظه أن استقر بالهند لمدة طويلة، وتعلم بعض اللغات الشرقية وهكذا تأثر بالنظريات اللغوية الهندية، الشيء الذي جعله يعتقد أن تطوير أي نظرية لغوية لا يكون إلا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة، ونظرا لاهتمامه بالتعليم ومناهجه تولى مهمة تدريس اللغة الانجليزية بجامعة البنجاب سنة 1919".[2]

" رجع فيرث مباشرة إلى جامعة لندن ليشغل منصب أستاذ بمعهد الصوتيات بعد جولته المشرقية المليئة بالنشاطات الأكاديمية".[3]

" وفي سنة 1938، انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية والإفريقية بلندن ليتولى تدريس مقياس الدراسات الشرقية والإفريقية. فعد أول من درس هذا المقياس منذ إقراره عام 1944، وكذلك أول من منح رتبة أستاذ ذي

[1]– أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 172.

[2]– المرجع نفسه، ص 172.

[3]– المرجع نفسه، ص 172.

كرسي في اللسانيات العامة ببريطانيا العظمى، وجدير بالذكر أن "فيرث" قد كون أجيالا عديدة من الطلبة، وتخرج على يده عدد لابأس به من اللسانيين الذين ما فتئت أعمالهم تعكس أفكاره وتشع بنظريته".[1]

مؤلفاته: من أشهرها مايلي: [2]

1) تقنية علم الدلالة أصدر عام 1935.

2) مدرسة الصوتيات الانجليزية الذي كان عام 1946.

3) وأخيرا ملخص النظرية اللغوية والذي كان تاريخ إصداره عام 1957.

2 – منهج الدراسة في النظرية:

عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي أو المنهج العملي الذي يعمل على تأكيد الوظيفة الاجتماعية للغة، وقد نادى بها "فيرث" في منهجه المتميز بفلسفة الأحذية Monism إيمانا منه بأن ثمة مبدأ غائيا واحدا ألا وهو المادة. فكان يرفض باستمرار بناء فكره على ما يسمى بالثنائيات Dichotonises التي يصعب تحقيقها من الناحية العملية، وذلك خلافا لما ذهب إليه "دوسوسير" مبررا هذا الموقف بقوله: «بما أننا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها. فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل، والتفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككل يفكر ويتصرف وسط رفقائه كوحدة شاملة».[3]

وعليه فقد امتاز منهجه بما يعرف بفلسفة الأحذية، ولكنها تحمل في نظره مبدأ غائيا وهو المادة من ذلك رفضه أن يقيم تفكيره على ما يسمى بالثنائيات. هذه الثنائيات التي دعا إليها كثيرا من الدراسيين في دراستهم اللغوية، غير

[1]– المرجع السابق، ص 173.

[2]– عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات ، ص 253.

[3]– أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 173.

أننا نجد "فيرث" قد استطرد لذلك بقوله: « إن اجتنابي لاستعمال هذه الثنائيات لا ينبغي أن يفهم على أنني أقصيت مفهوم العقل إقصاء، واحتضنت المذهب المادي احتضانا».[1]

"ففيرث" من خلال قوله هذا قد صرح أنه بالرغم من رفضه لاستخدام هذه الثنائيات إلا أن هذا لا يعني أنه قد أهمل المفهوم العقلي واحتضن المذهب المادي.

وقد انصب اهتمامه بهذا على مجالات كثيرة، مكنته من إقامة نظرية لسانية مستقلة بذاتها،من أبرزها: المكون الاجتماعي، التحليل اللغوي، علم الدلالة والصوتيات الوظيفية.

1-المكون الاجتماعي

تأثر "فيرث" بالأنثربولوجيا تأثر شديدا مما جعله يركز على دراسة المكون الإجتماعي في مختلف اللغات البشرية مؤكدا على دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، وذلك من خلال قوله: « إن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي(social process)؛ أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية (Orbitraysigns) أو الإشارات (signols)».[2]

فاللغة في نظره وصف يجب أن تدرس كظاهرة اجتماعية لاسيما في بعدها الثقافي التواصلي، مما يعني أن التحليل اللغوي يقوم على وصف العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارية وبما أن استعمال اللغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعددة فإن "فيرث" درس مكونات اللغة وفق مكونات المجتمع بالتركيز على مختلف العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع.

2-التحليل اللغوي:

[1]- المرجع نفسه، ص 173.

[2]- المرجع السابق ، ص 174.

من المعروف أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، سواء كانت لغوية أم غير لغوية، ومن ذلك نجده قد أرسى مجموعتين رئيسيتين من العلاقات تنقسم كل مجموعة منها إلى قسمين: العلاقات الداخلية أو الشكلية والعلاقات الموقفية.

«**1- العلاقات الداخلية أو الشكلية المتعلقة بالنص Internal/formal relation** وتنقسم إلى:

أ – العلاقات الركنية Syntagmatic relation: وتتمثل في العلاقات الموجودة بين عناصر البنية (stracture) على مستويات مختلفة منها: النحوية والصوتية، كالعلاقة بين مفردة شكلية وأخرى في جملة ما، أو في تتابع معين (Collocation) أو العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية أو العلاقة بين الوحدات الفونولوجية.

ب – العلاقات الاستبدالية للمفردات ضمن الأنظمة (systems): حيث تمثل كل مفردة عنصرا معينا من البنية، ويمثل النظام مجموعة المفردات التي نختار منها أية مفردة .

2- العلاقات الموقفية (situational relation): وتغطي شبكتين مختلفتين من العلاقات:

أ.جمع العلاقات الموجودة ضمن سياق الموقف.

ب.العلاقات القائمة بين أجزاء النص ومظاهر الموقف. وهي علاقات بين مفردات اللغة ومكونات الموقف غير اللفظية، وبما أن وحدات اللغة تدخل في كلا النوعين من العلاقات فإنها تكتسب معاني شكلية وموقفية».[1]

والتحليل اللغوي بهذا يقوم عنده على التمييز بين العلاقة الداخلية بنوعيها أو مستوييها الركني والاستبدالي والعلاقة الموقفية أو السياقية الخارجية، وتعد من أهم القضايا التي بنى عليها "فيرث" نظريته السياقية؛ فعلى المحور الأفقي تؤلف العناصر اللغوية التراكيب وعلى المحور الرأسي ترتب العناصر في أنظمة.

3- علم الدلالة

[1]- المرجع السابق، ص 174.

انصب اهتمام "فيرث" على علم الدلالة، إذا وضع هذا العلم في صلب الدرس اللساني وفي هذا السياق قرر: « أن المهمة الأساسية اللسانيات الوصفية دراسة الدلالة اللغوية».[1]

والمعنى في نظره هو تلك الشبكة العامة للعلاقات والوظائف التي تستعمل فيها كل المفردات كقوله:« إني أقترح تقسيم المعنى أو الوظيفة إلى مجموعة من الوظائف المكونة. وما الوظيفة إلا ضربا من استعمال شكلا أو عنصرا من لغة معينة حسب سياق معين، وينبغي علينا أن ننظر إلى المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية حيث تعالج كل من القواعد والدلالة، والصوتيات، وصناعة المعاجم مكوناتها في السياق الملائم لهذا المركب».[2]

وعليه فإن المعنى بهذا التفسير يكاد يتحد مع مفهوم الوظيفة وبذلك فقد انقسمت هذه الوظائف عنده وفقا لمستويات اللغة إلى: الوظيفة الصوتية، الوظيفة المعجمية، الوظيفة الصرفية، الوظيفة النحوية والوظيفة الدلالية.

وبهذا أسس لدراسة المعنى خمس قواعد هي:

«1- الوقوف على الوظيفة الصوتية للحرف باعتباره مقابلا استبداليا. ومثال ذلك الأصوات حين توضع في سياق وفي نظام من العلاقات الصوتية بحسب التركيب الصوتي.

2- الوقوف على الوظيفة المعجمية للكلمة حيث تختلف كلمة b:d باعتبارها مقابلا استبداليا معجميا عن كلمة d:b.

3- الوقوف على الوظيفة المورفولوجية للكلمة، وهي التي تعنى بالنظر إلى السوابق واللواحق أو النظر إلى الكلمة من حيث الاسمية والفعلية.

4- الوقوف على الوظيفة التنغيمية على مستوى التركيب، حيث تظهر قيمة التنغيم في السياق الفعلي للحدث اللغوي، فالتعبير بقولنا: ماله؟ يختلف عن التعبير بقولنا: ماله؛ فالأول استفهام بمعنى: ما الذي له؟ والثاني أخبار بمعنى ليس له شيء، والتنغيم بهذا ذو قيمة معنوية دلالية.

[1]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة، عمان، ط1، 2009، ص 120.

[2]- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 178.

5- الوظيفة الدلالية: والتي تظهر في السياق ويدركها السامع ويعيها المتكلم عن طريق ما يتوفر في السياق من ظروف أو أحوال وملابسات».[1]

فبيان المعنى الدلالي بلكلمة ما يتطلب الوقوف على هذه الوظائف جميعا، ومثال ذلك: «كلمة "ولد" حيث لا يتضح المعنى الدلالي لها كاملا إلا بعد النظر في جميع الوظائف السابقة:

1- فكلمة "ولد" باعتبار الوظيفة الصوتية عبارة عن مورفيم حر مركب من عدد معينا من الفونيمات هي /و/+/ل/+/د/. وهذه الفونيمات على هذا النحو من الترتيب هي جزء من معنى الكلمة، وذلك بمالها من اتصال بهذه المجموعة من الفونيمات دون غيرها؛ أي تكوين هذه الكلمة على هذه الصورة الصوتية بالذات، جعل لها معنى خاص عن كلمة بلد مثلا».[2]

2- كلمة "ولد" لها معنى معجمي « يختلف أيضا عن كلمات مثل: بلد، وجد، ولع. ندرك ذلك إذا ما استبدلنا كلمة(ولد) بهذه الكلمات في جملة معينة مثل (ولد نحيل) فإذا قلنا (بلد نحيل) لم يستقيم المعنى».[3]

3- كلمة ولد لها معنى صرفي معين، ندرك ذلك خاصة بعد القيام بعملية إحصائية للسياقات الصرفية التي تستعمل فيها هذه الكلمة: « فجزء من معنى كلمة (ولد) قد تكون فعلا أو اسما، وفي الحالة الأولى قد تسند إلى المذكر أو المؤنث مفردا أو مثنى أو جمعا، وفي الحالة الثانية قد تكون مفردا أو مثنى أو جمع تكسير، وهذه تمثل المعنى الصرفي لها وهي جزء آخر من معناها».[4]

4- كلمة (ولد) لها معنى نحوي: «ندرك ذلك عن طريق بيان خصائصها النحوية أو وظيفتها في الجملة.

[1]- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية ، ص 279.
[2]- المرجع نفسه، ص 279.
[3]- المرجع نفسه، ص 280.
[4]- المرجع نفسه، ص 280.

5- كلمة (ولد) لها معنى اجتماعي، وبيان هذا المعنى يتم عن طريق تتبع هذه الكلمة في الاستعمالات المختلفة في البيئة الاجتماعية».[1]

ثم إن هذه الوظائف الخمس وإن كانت جميعا ضرورية في تحليل السياق اللغوي، « إلا أن الوظائف(2، 3، 4) تحوز أهمية خاصة باعتبارها وظائف جوهرية، ولكن الوظائف جميعا جوهرية أو غير جوهرية لابد أن يتضمنها التحليل لأنها جميعا داخله في إطار المعنى، ولابد من عزل كل هذه العناصر وتحليل وبيان وظيفة كل عنصر منها على حدة».[2] كما أكد "فيرث" على أهمية مراعاة السياق الخارجي أو المقام في عملية تحليل المعنى بعبارة اقتبسها من الانجليزية المعاصرة هي: « Say when فهذه العبارة لا يصبح لها معنى إلا عندما توضع في السياق، وهنا نجد سياقات مختلفة تقال فيها هذه العبارة ومن ثم يختلف المعنى. ومن دون مراعاة هذه السياقات قد لا يصبح لها معنى على الإطلاق أو على الأقل تصبح معانيها احتمالية لا تتحقق بها الفائدة الاتصالية الموجودة».[3]

فالسياق الخارجي أو كما يعرف بسياق الحال عند فيرث يلعب دورا هاما في تحديد المعاني وذلك من خلال تحليلها في سياقات متنوعة وبدونها المعنى يصبح غامضا لا يفيد في أي شيء.

"ففيرث" طور من نظريته السياقية وخاصة فيما يتعلق بالسياق اللغوي، إذ أضاف إلى عناصر تحليل هذا السياق: « ما يعرف الرصف أو النظم، ويقصد به: الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، ومن أمثلة ذلك: البقرة مع اللبن، الليل مع الظلمة، ويطلق على هذا المستوى من التحليل مصطلح التحليل الرصفي، وهو يقع في منزلة وسط بين مستويين: مستوى السياق الخارجي والمستوى النحوي، وهو المسؤول عن تحديد المعنى المعجمي الذي لا يتعلق بوظائف الوحدات المعجمية في سياقات خارجية معينة، وإنما بتلاؤمها مع غيرها في النص المدروس وعلى ذلك فإن جزءا من معنى الليل يكمن

[1]- المرجع السابق، ص 280.

[2]- عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء السياق، ص 50.

[3]- المرجع نفسه، ص 49.

في إمكانية وروده مع لفظ الظلمة، وجزء من معنى الظلمة يكمن في إمكانية وروده مع الليل، ومن هنا تحدث "فيرث" عن الربط بين الألفاظ المترادفة والمتبادلة، وغير ذلك من التقابلات الثنائية في كلمتين يحتمل ورودها معا في سياق لغوي بعينه».[1]

ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن "فيرث" اتخذ من التحليل الرصفي أساسا في تحديد المعنى المعجمي لما له من أهمية كبيرة في تحديد السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة.

4) الصوتيات الوظيفية

انصب اهتمامه على علم وظائف الأصوات أو الصوتيات الوظيفية (Phonology) فكان أهم ما وصل إلينا أن النظام الصوتي في أية لغة من اللغات إنما يتألف من عدة نظم، إذ رفض هذا اللساني فكرة إقامة نظام واحد من الفونيمات لوصف اللغات البشرية، وهذه النظم المتعددة لديه تنص على وجود إمكانيات بديلة ترد على مستويات مختلفة من البنية الفونولوجية. وهي أيضا في نظره نظم من المعنى، وخلص إلى أنه لا يوجد أي مبرر منطقي لمطابقة أو معادلة بدائل صوتية في نظام معين ببدائل نظام آخر إذ يقول: « يلازم كل عنصر من البنية نظام متميز من الأنظمة التي تلازم عناصر أخرى من البنية نفسها؛ وبالتالي يختلف نظام الصوائت الإستهلالية الممكنة في اللغة الصينية عن نظام الصوائت الختامية الممكنة».[2]

فهو بذلك يرى أن هناك تلازما بين الصوت والمعنى وكل اختيار لصوت إنما هو اختيار لمعنى، ولعل أكثر الجوانب تميزا في عمل "فيرث" هي الفونولوجيا التطريزية Prosodic phonology، وتشمل ظواهر صوتية مختلفة: « كالنبر والتنغيم النغم وغيرها لما لها من أهمية معتبرة في توجيه المعنى الإفرادي والجملي على حد سواء في

[1]- المرجع السابق، ص 52.

[2]- أحمد مؤمن: اللسانيات النساة والتطور، ص 182.

كثير من اللغات في العالم مثل: الانجليزية والسويدية والنرويجية والصينية، ففي الانجليزية مثلا يعد التنغيم على مستوى الجملة، والنبر على مستوى المقطع سمة فوق مقطعية لها تأثيرها الواضح في تميز المعنى وتعدده».[1]

فالتحليل الفوق مقطعي أو التحليل التطريزي عنده يقوم بتحليل الكلام إلى فونيمات قطعية وفونيمات فوق مقطعية: « فالفونيمات القطعية هي وحدات فونولوجية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظها أما الفونيمات الفوق مقطعية هي فونيمات تزامن أحيانا الفونيمات الفوق مقطعية، قد تكون نبرة أو نغما أو فاصلا ويطلق عليه الفونيم الثانوي أو البروسوديوم».[2]

ومن خلال استعراضنا لأهم ما جاءت به النظرية السياقية لدى "فيرث" يمكننا أن نستخلص ونستنتج أهم المبادئ والأسس التي قامت عليها في النقاط التالية: [3]

1- النظرة المتساوية إلى عنصري السياق في عملية التحليل الدلالي، وهذان العنصران هما: السياق اللغوي وسياق الموقف أو المقام، والذي يتضمن أيضا ما يسمى بالسياق الثقافي الذي يحتوي قائمة بالفوارق الاجتماعية والسمات الشخصية والثقافية للمتحدث والمتحدث إليه ودور كل منهما في المجتمع.

2- النظر بالتساوي إلى كل عناصر السياق اللغوي سواء كانت صوتية بما في ذلك العناصر الأدائية كالنبر والتنغيم، أو صرفية أو نحوية أو معجمية أو دلالية.

بمعنى أن النظرية السياقية إلى جانب عناصر السياق اللغوي تؤكد على الفونيمين فوق القطعيين وهما النبر والتنغيم باعتبارهما يوجهان الدلالة إلى جانب الفونيمات القطعية.

3- الرفض المطلق لما يسمى بالوظيفة الأساسية؛ لأن كل وظيفة تؤدي هي وظيفة أساسية في المقام الذي قيلت فيه.

---

[1]- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية ، ص 120.

[2]- أحمد مؤمن: اللانيات النشأة والتطور، ص 184.

[3]- عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية في ضوء السياق ، ص 50- 51- 52.

4- النظر بالتساوي إلى كل أنواع الاستخدام اللغوي؛ إذ ليس هناك استخدام يمكن النظر إليه باعتباره القاعدة التجريدية، وبقية الاستخدامات باعتبارها أنماطا ثانوية، وإنما ينظر إلى الجميع بعين واحدة باعتبارها بدائل في الأنماط السياقية وهذه مسألة جوهرية تختلف فيها النظرية السياقية عن مفاهيم النحو التقليدي.

5- ليست اللغة نظاما شكليا فحسب وإنما هي جزء من النتاج الاجتماعي. فاللغة إذن عند أصحاب هذه النظرية عبارة عن ظاهرة اجتماعية تدرس وفق مسار اجتماعي منظور وليست كشكل والمجتمع هو الذي ينتج اللغة، فهي جزء منه وليست اللغة هي التي تنتج المجتمع.

6- وحدة الاستخدام الأساسية هي الجملة؛ أي أن الجملة تمثل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها النظرية السياقية في عملية التحليل اللغوي.

7- إن المعنى أو الوظيفة في مفهومه النفعي أو العملي ذا طبيعة متغيرة وذلك نظرا لارتباطه بالكلام؛ أي أن المعنى باعتباره وظيفة فإن من طبيعته أن يتغير، وذلك لارتباطه بالكلام فالكلام يختلف حسب الموقف أو السياق الذي يرد فيه، وبالتالي فإن المعنى كذلك يختلف.

وخلاصة القول: فإن اللسانيين اهتموا بالسياق الذي كان المعول الرئيسي عليه عند الكثير من الباحثين الدلاليين في أوساط الثقافة اللسانية منهم العالم الانجليزي "فيرث" الذي ارتبط اسمه بهذه النظرية.

« إذ يرى أن الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها الاجتماعية، وأن إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق المواقف الاجتماعية والثقافية، وبذلك يبرز المتكلم المستمع للغته ودوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة».[1]

فاللغة لها وظيفة اجتماعية تمكن الفرد من إنتاج عدد لا متناه من الألفاظ اللسانية، تمكنه من إبراز لغته وشخصيته من خلال المشاركة في مختلف المواقف الاجتماعية والثقافية وحتى التواصلية.

[1]- أحمد حساني: مباحث في اللسانيات،ص 153- 154.

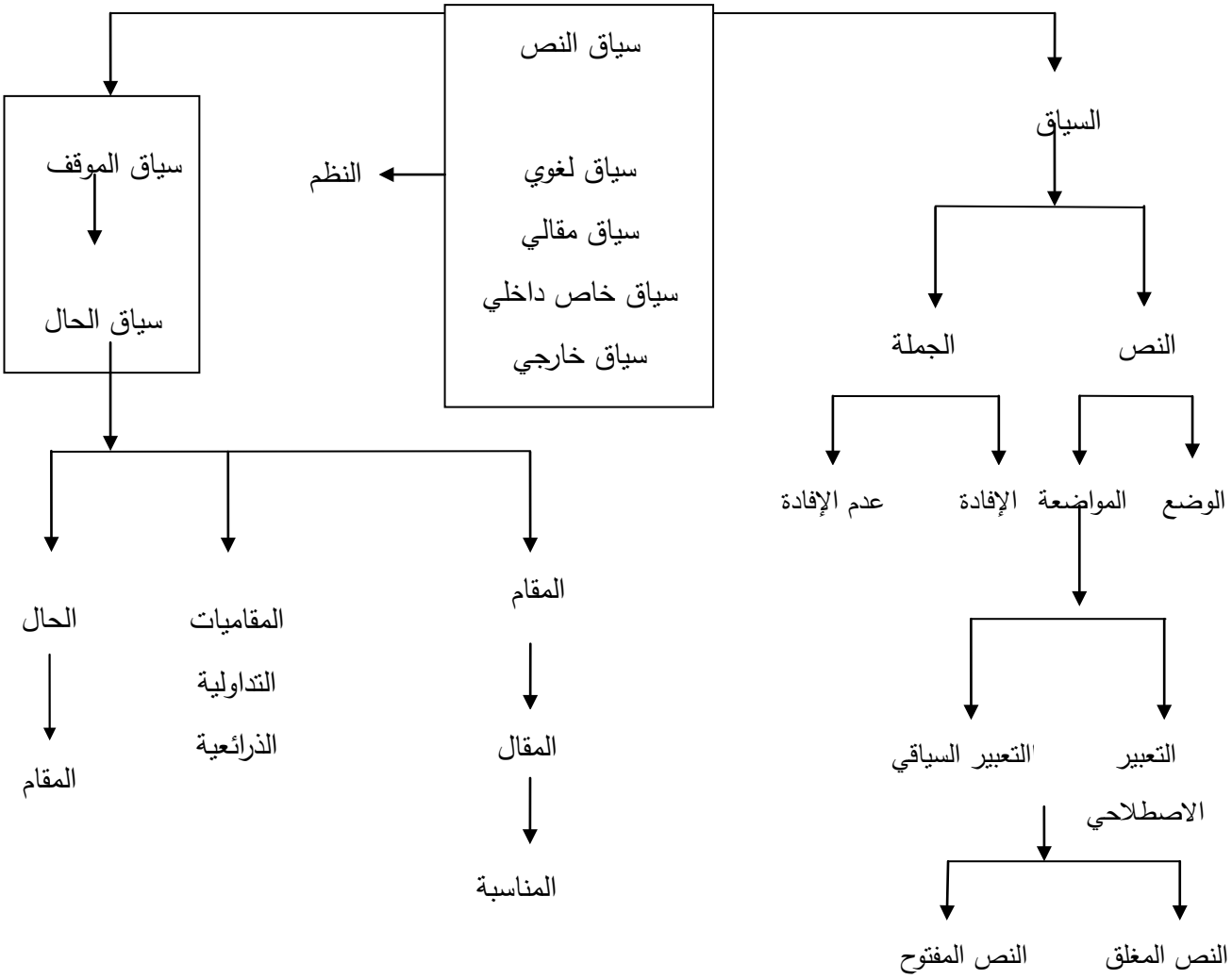
وقد حصل تطور هام في مفهوم السياق، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية، إنما وجدت جوانب أخرى قد تنسجم معها الدلالة المقصودة للكلمة كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه.

وأهم ميزة للنظرية السياقية إذن أنها:«لا تهتم من بين أنواع السياق إلا بالسياق اللغوي أو السياق اللفظي».[1] الذي يعتبر ركيزة أساسية قامت عليها هذه النظرية إضافة إلى سياقها الحالي الذي يعدّ النوع الثاني من أنواعها.

[1]– أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، ص 75.

3- مصطلحاتها

ارتبطت نظرية السياق بجملة من المصطلحات وهي مصطلحات تتبادل الأدوار حينا، كما أنها قد يختلف بعضها عن البعض الآخر حينا ونوضحها في المخطط التالي: [1]



وفي تعدّد الصور البنائية للسياق مايلي: السياق من غير نسبة أو وصف السياق اللغوي، سياق النص، السياق الخاص، السياق الداخلي، سياق الموقف، سياق الحال وغيرها.

[1]- هادي نهر: دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، 232.

1- السياق من غير نسبة أو وصف: يطلق على التركيب اللغوي الذي يتجاوز في مكوناته الجملة:« فهو وحدة لغوية أساسية ذات دلالة متكاملة يمكن تحليلها بالاستعانة إلى مقولات لغوية وما وراء لغوية، وهذا السياق يشكل المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية لمكوناته؛ إذ تتحدد الوظائف اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والإيقاعية) لكل مكون لغوي داخله».[1]

أي أن هذا النوع من السياق يتجاوز الجملة إلى مقولات لغوية وغير لغوية وفيه تتحدد كل الوظائف الصرفية والنحوية والدلالية وغيرها.

وبهذا المفهوم يلتقي هذا القسم مع مصطلح الوضع المستعمل كثيرا في آثار النحويين العرب القدماء، إذ عرّف بعضهم الكلام: « بأنه اللفظ المركب المفيد بالوضع؛ أي بحكم النمط التركيبي المحدد لكل جملة من الجمل كالجملة الاسمية والخبرية والإنشائية والمثبتة والمنفية والمؤكدة والاستفهامية وجملة الأمر والنهي والتخصيص والشرط ....الخ».[2]

علما بأن مصطلح الوضع عند الأصوليين والمناطقة العرب قد: « قصد به نوع من أنواع الدلالة سميت الدلالة الوضعية، وهي نفسها الدلالة المعجمية أو دلالة المطابقة التي تعني دلالة اللفظ على معناه الموضوع له، بحيث متى أطلق اللفظ أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه»[3]؛ أي أن الوضع عند هؤلاء إذن يقتضي أن يكون اللفظ دالا على معناه. «ونقترب في مصطلح الوضع من مصطلح المواضعة Convention الذي يقابل مصطلح التعبير الاصطلاحي Idiomatic Expression فاللغة أي لغة تعرف نوعين من التعبيرات أو المصطلحات:[4]

الأول: التعبير الاصطلاحي الذي من أمثلته قولهم: ضرب أخماسا لأسداس بمعنى متحير، ورجع صفر اليدين بمعنى الفشل والخيبة.

---

[1]- المرجع السابق، ص 225.

[2]- المرجع نفسه، ص 225.

[3]- الجرجاني علي بن محمد: التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،دب، دط، 1933، ص 92.

[4]- هادي نهر: دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، ص 226.

الثاني: التعبير السياقي حيث تتحدد الكلمة المعينة بدلالة معينة وفقا للسياق الذي ترد فيه، فكلمة يد تختلف دلالتها في كل من قولنا: (يد الله هي العليا، ويدي تؤلمني) وهذا يشير إلى التعبير الاصطلاحي يستمد معناه من المواضعة حيث تصطلح الجماعة الناطقة على إطلاق ألفاظ معينة على أشياء ومفاهيم معينة خارج إطار السياق، ولهذا أطلق بعض اللغويين المحدثين على التعبيرات الاصطلاحية تعابير خارجية المركز Exontric مقابلا للتعبيرات السياقية وهي تعبيرات داخلية المركز Endocentric ؛فالتعبير الاصطلاحي لا يخضع للتغيير لأن ذلك يؤذي إلى تحطيم المعنى في حين يخضع التعبير السياقي للتغبير المفضي إلى تغيير الدلالة وفقا لطبيعة السياق أي أن التعبير الاصطلاحي غير خاضع للتغيير لأن ذلك يؤذي إلى تحطيم المعنى في حين التعبير السياقي يخضع للتغيير الذي يؤذي إلى تغير الدلالة حسب السياق الذي ترد فيه.

2- السياق والنص: يوازي مصطلح السياق مصطلح النص text للأسباب الآتية: [1]

1- أن كلا منهما يفيد المفهوم نفسه. فالنص كما يعرفه بعض المحدثين كالسياق تتابع متماسك من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى أشمل؛ أي أن النص يكون متتابع متماسك ومتجانس مكون من علامات لغوية لا تحتاج إلى وحدات لغوية أخرى تكون أشمل.

2- كلاهما يتكون من جملة أو جمل (نصوص) متعددة.

3- أن كلا منهما يعتمد في تحديد وظيفته على نظرية السياق الاتصالي حيث تتحدد التراكيب اللغوية (النصوص) أو السياقات بوصفها أداة للاتصال الجماعي.

4- كلا هما يدخلان في الاعتبار (المتلقي) بوصفه شريكا في تشكيل المعنى وتعدد دلالاته.

«كما أن عملية تذوق النص وتفسيره تحتاج إلى معرفة السياق وإدراكه ومن ثمة معرفة النص، فقيمة أي عمل أدبي تتحدد بناء على جنسه وسياقه فهي بذلك تحقق الاختلاف بين عمل أدبي وآخركما تختلف لقيمة الجملة اللغوية

[1]- المرجع نفسه، ص 227.

التي تختلف من نص إلى أخر فقولنا: السيل حرب للمكان العالي؛ هو أن السيل لا يحتبس في المرتفعات بينما إذا وضعنا هذه الجملة في بيت شعري كقول "أبو تمام":

لا تنكري عطل الكريم من الغني ∴ فالسيل حرب للمكان العالي

فإن الجملة تتغير في إحداث الأثر، وفي تحريك المخيلة، وذلك لأن دخولها في سياق مختلف جلب معه طاقة مختلفة لها. ولا بد من معرفة هذا السياق ووجود ثقافة كافية فيه لتحقيق درجة كافية من التذوق، معرفة الشفرة وتقديرها».[1] فمعرفة السياق هو معرفة الجملة التي قد تدخل في سياق مختلف ودخولها فيه يعطي لها طاقة تعبيرية تختلف عن الأولى.

كما أن للسياق دورا واضحا في تحديد معنى النص وتحقيق تماسكه، ومن ثم « فالمجتمع هو المنتج له، وهو المتلقي له، وهو الذي يحدد معناه من خلال البيئة المحيطة التي يعيش فيها المجتمع، والتي أفرز فيها النص».[2]

وهذا يعني أنه لا وجود للسياق دون وجود النص، ولا وجود للنص من دون السياق، فكل واحد منهما يكمل الأخر، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الأخر.

3- السياق والجملة- النصّ والجملة: من المعروف أن الجملة غير السياق، وغير النص، والعلاقة بين الجملة والسياق، والجملة والنص علاقة عموم وخصوص فكل سياق جملة أو نص، وليس كل جملة سياقا أو نصا لإمكانية انتفاء شرط الإفادة في الجملة التي قد تكون غير دالة على معنى؛ أي لم تفد على حد تعبير أحد اللغويين العرب القدماء بوصفها أعني:«الجملة (قول) لا كلام وفرق بين الكلام واللفظ».[3] إذ يشترط في الجملة الإسناد، ويشترط في الكلام إفادة السامع على المستوى الإبلاغي.

---

[1]- عبد الله الغدامى: الخطيئة والتفكير من البنيوية التشريعية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ب، ط4، 1998، ص 13.

[2]- صبحي إبراهيم الفقي: مدخل إلى علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على الصور المكية، دار قباء، ط1، 2006، ج1، ص 106.

[3]- هادي نهر: دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، 227.

كما أن مفهوم الجملة يرتبط عند "الجرجاني" بالنظم، الذي هو السياق نفسه إذ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض، فالنظم هو التركيب، والتركيب هو الجملة.

النصّ المغلق أو المفتوح Open and closed texts: يقصد بالنصّ المغلق: « النصّ الذي ليس له معنى محدد، فهو لا يقبل إلا تفسيرا واحدا، أما النص المفتوح فهو النص الموجه إلى المتلقي، وله معنى أني محدد لكنه لهذا السبب يقبل تفسيرات متتابعة فسمي بذلك مفتوحا».[1] أي أنّ النصّ المغلق من بين التفسير يكتفي بتفسير واحد فقط بخلاف النص المفتوح.

4- سياق النص والسياق اللغوي: يقصد بسياق النص:«توالي العناصر التي يتحقق فيها السبك، وهو نموذج للسلوك اللغوي ويشتمل المنطوق والمكتوب، ويتطلب مرسلا ومستقبلا ورسالة، ووضع ومقام وقناة، ويكون المقصود بسياق النص: السياق الداخلي أو السياق الخاص أو السياق المقالي، فهذه المصطلحات مترادفة؛ إذ تعني توارد العناصر والوحدات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية) على وفق نظام خاص لإنتاج دلالة ما».[2]

5- السياق اللغوي والنظم: أطلق المفسرون والبلاغيون القدامى مصطلح النظم وأرادوا به السياق اللغوي:«إذ لم يفرقوا بين السياق والنظم ولكنه مختلف عند المحدثين، فالسياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها؛ بمعنى السياق موازنا لمصطلح النظم وهو علاقة المعنى بالمعنى من خلال إنتظام مكونات السياق اللغوي على نحو معين، والنظم علاقة اللفظ بالمعنى من خلال هذا الانتظام أيضا وعلى هذا يكون مصطلح السياق اللغوي أشمل من مصطلح النظم».[3] أي أن المفسرون والبلاغيون القدامى لم يفرقوا بين السياق والنظم على خلاف المحدثين فهو عندهم يبحث في ترابط المعاني بالمعاني سواء كانت سابقة أو لاحقة والنظم يبحث في ترابط المعنى باللفظ.

[1]- ينظر عناني محمد: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط3، 2003، ص 65.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

[3]- ينظر عبد الفتاح محمود المثنى: نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، عمان، د.ط، 2008، ص 17.

6- سياق الموقف Context Situation: هو « مجموعة المكونات الخارجية من أنشطة واهتمامات وقيم وثقافة وأحداث وغير ذلك مما يصاحب الأداء اللغوي ويحيط بالعملية اللغوية التواصلية، فلكل نص أو خطاب نتاج ظرفي زمني معين، ومكان معين، مع التأكيد أن سياق الموقف يستغرق ما هو لفظي وما هو غير لفظي فيشتمل الآتي:

أ.الحدث الكلامي الفعلي أي السياق الداخلي اللغوي.

ب.زمانه ومكانه.

ج.شخصية المتواصلين جنسا وثقافة ومهنة.

د.الأحداث والأشياء والظروف غير اللفظية المتصلة بالحدث الكلامي بما فيها الأفعال المصاحبة والحركات والإشارات.

هـ.المستوى البنائي للحدث الكلامي. ومن هنا صار سياق الموقف اليوم هو المركز الذي يدور عليه علم الدلالة الوصفي، بل إن الأسلوبية وجدت نفسها أسيرة هذا السياق.

لأن المعنى ليس في الكلمات ولا في التراكيب وحدها ما لم يؤخذ في الحسان العناصر اللغوية التي تحيط بالعملية الكلامية»[1].

7- سياق الحال: « لا نجد فرقا بين سياق الموقف وسياق الحال فكل منهما يدل على ملابسات الموقف أو الحال خارج النص اللغوي ونرى أن سياق الحال أشمل وأدل على المفهوم المراد من سياق الموقف، لاسيما أن الأول مصطلح قديم في الدرس اللغوي عند العرب وكثيرا ما استعمله "الخليل" (ت 175) وتلميذه سيبويه (ت 180)،

[1]- المرجع السابق، ص 229.

وإذا كان بعض المحدثين يرى أن سياق الموقف أو سياق الحال من وضع عالم الاجتماع البولندي "مالينو فيكسي" ثم تلقفه "فيرث" فإننا نلحظ بوضوح التفطن الدقيق للعلماء العرب القدامى لهذا السياق وللنظرية بكل تفاصيلها من خلال الحقائق الآتية التي تؤكد ذلك:

1- «استعمالهم "مصطلح مقتضى الحال أو المقام" ، أو "بساط الحال" أو المطابقات النحوية».[1] أو ما يستعمل استعمال مقتضي الحال والمقام من نحو مصطلحات عربية كثيرة منها: الوضع، المقدار، والأقدار والمناسبة والمطابقة مما يعد بعضه فرعا لنظرية السياق.

2- قولهم إن « لكل ضرب من الحديث ضربا من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوعا من الأسماء» [2]، وأن على «المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما». [3]

تمييزهم بين السياق والمناسبة: « فالأول أوسع في الدلالة من المناسبة لاشتماله على مكونات داخلية وخارجية متعددة، ويدل مصطلح المناسبة عند المفسرين أوجه الربط بين الآيات والمقاطع التي لا يظهر وجه ارتباطها بما قبلها وما بعدها أول وهلة، ولا يمكن استجلاء المناسبة إلا بعد معرفة سياق الآيات القرآنية».[4]

8- الحال والمقام: جعل أكثر المحدثين مصطلح الحال مرادفا لمصطلح المقام وليس الأمر كذلك، فدلالة الحال على الثبات والسكون وعدم التحول إلى حال أخرى تماما، ولعل القول المشهور: « دوام الحال من المحال يشتمل

[1]- المرجع السابق، ص 230.

[2]- المرجع نفسه، ص 230.

[3]- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التبيين تر: عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف العربية والنشر، القاهرة، ط1، 1948، ص 139.

[4]- ينظر عبد الفتاح محمود المثنى: المرجع السابق، ص 19.

على نوع من الضيق بثبات الحال وسكونها والتعزي بالأمل في تحولها. فالحال تدل على State ومفهومها Static أي سكوني».[1]

« والمقام متحرك فهناك مقام للتنكير يباين مقام التعريف ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الإطناب يباين مقام الإيجاز وعلى هذا يمكن القول بالآتي:

1- أن المقام أشمل من الحال.

2- أن المقام يشتمل على البعد اللغوي الداخلي، وعلى ما يحيط به من أحوال خارجية، والحال أمر مشاهد ساكن غير لغوي.

3- أن المقام هو الذي يشمل على مصطلح المقال ولذلك قيل إن "لكل مقام مقال".

4- يوازن مصطلح المقام بسياق الموقف Context of Situation من جهة والمقام يختلف عن سياق الموقف، ذلك أن مصطلح المقال منفصل عن المقام، ويقال بحسبة إذ "لكل مقام مقال"، غير أن المقال يكون جزء لا يتجزأ من سياق الموقف.

5- يوازن (مقتضى الحال) بسياق الموقف من جهة أخرى فالأول ساكن والثاني متحرك، كما أن مقتضى الحال معياري وسلوك وهو أقرب إلى مفهوم النظم بينما سياق الموقف تطبيق لهذا المعيار وهو السلوك نفسه وهو غير قريب إلى النظم».[2]

كما يعد النبر والتنغيم من مظاهر السياق وتأثيرهما كبير في بيان المعنى ولا ننسى ما للإعراب من أثر فيه وهذه كلها يمكن أن نسميها قرائن لإيضاح معنى الكلمات، لذلك نجد "فيرث" يؤكد على الفونيمين فوق القطعيين النبر stress والتنغيم Intomation باعتبارهما يوجهان مستويات الدلالة إلى جانب الفونيمات القطعية.

[1]- هادي نهر: المرجع السابق، ص 231.

[2]- ينظر القزويني الخطيب ، الإيضاح المختصر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الجمالية، مصر، ط2، د.ت، ص 8-9.

1- التنغيم والنبر: وهما من إصطلاحات المحدثين، « ويعد "إبراهيم أنيس" أول الباحثين العرب الذين أولوا هذا الموضوع اهتمامهم فهو عند موسيقى الكلام» [1] ،وهو يصف التنغيم بأنه «تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة كما أنه وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس الكلمات المختلفة المنعزلة».[2] أو هو عبارة عن: «تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين».[3]

ومن هذا يتضح أن صلة النبر بالتنغيم صلة وثيقة، فكلاهما ملمحا تمييزيا للمعاني الدقيقة، أحدها على مستوى الكلام والآخر على مستوى الكلمة، فحينما يكون الضغط على الكلمة المفردة أو في سياقها فهو النبر، الذي يعد في الكلام ظاهرة موقعية؛ لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا، وهي ميدان الظواهر الموقعية، أما النبر في نظام الصرف فهو نبر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة على الأصح.

أما حينما يكون الضغط بمستوى ما في تشكيل صوتي معين فهو: « التنغيم الموجود في اللغة العربية، ذلك أنه فيها عمله فاعتبرت لغة تنغيمية وخاصة على مستوى جملة ليفرق بين أساليبها الكلامية، وليس على مستوى الكلمة، إذ يفرق بين معنى الجملة في قولنا ظهر الحق، إذا نطقت هذه الجملة بتنغيم هابط دلت على التقرير (الخبر) أو بنغمة صاعدة لتدل على الاستفهام، يقوم التنغيم بوظيفة نحوية Grammatical Function، وبالتنغيم أيضا يمكن تمييز التركيب اللغوي التقريري من التركيب الاستفهامي بلا إضافة أي أدوات ولا أسماء تفيد الاستفهام».[4]

فالتنغيم إذن له دور كبير في اللغة العربية لاسيما على مستوى الجملة فبفضله يمكن التفريق بين أساليبها الكلامية والتمييز بين التراكيب اللغوية من تقرير، واستفهام وغيرها. وعليه فإن وظيفته تكون نحوية دلالية مهمة وبما أن

[1]- تحسين عبد الرضا الوزان: المرجع السابق، ص 396.
[2]- المرجع نفسه، ص 397.
[3]- ينظر ماريوباي : أسس علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1983، ص 93.
[4]- تحسين عبد الرضا الوزان، المرجع السابق، ص 399.

الجملة قد تدل على أكثر من معنى: « فإن التنغيم يتضح لنا صوتيا، إذا كان تقريرا أو استفهاما أو نفيا أو أي أسلوب من أساليب الكلام العربي؛ يعني أن اللغات التنغيمية هي لغات يمكنها أن تستغل التنوعات الموسيقية واستعمالها في الكلام بطريقة تمييزية يمكنها أن تفرق بين المعاني، ويبدو واضحا جليا أن اختلاف التنغيم يعود إليه الفضل في إمكاننا التعبير عن مشاعرنا وحالاتنا الذهنية من كل نوع، ولذا يمكننا تغيير الجملة من أسلوب إلى آخر من الخبر إلى الاستفهام إلى التوكيد إلى التعجب بلا تغير في شكل الكلمات المكونة لا وكمها، بل يحصل التغيير في نوع التنغيم فقط».[1]

وهكذا يتضح لنا أن النبر والتنغيم من مصطلحات علم الأصوات الوظيفي مهمتهما حل الكثير من الإشكالات الدلالية اللغوية التي تتصل بالأصوات وسياقات الكلام التنظيمية؛ إذ تحدد الصور النطقية بموجب أنماطها من صعود وهبوط واستقرار، كما يمكن أن نعد النبر سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه، إذ استطاع أن يحقق الغرض القصدي، ويعتبر من الملامح التمييزية أو التنوعات الصوتية التي تنوع الدلالة ويعتمد عليها السياق.

ب- ظاهرة الإعراب

كثيرا ما تتداخل المفاهيم بين النحو والإعراب والقواعد، ونظرا لأنه هو الذي يميز المعاني في الألفاظ حسب وظيفتها في التركيب- إذ لا إعراب خارج التركيب-، وقد يعبر عن الإعراب بالنحو، لأن أصل المعنى اللغوي للإعراب هو الإفصاح والبيان، ولذلك عد من القرائن اللغوية أثرا وأعمقها تأثيرا ولهذا فقد عرّف "عبد القاهر الجرجاني" الإعراب بقوله:« إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي

[1]- المرجع السابق، ص 399- 400.

يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه».[1]

فالإعراب هو الكاشف عن المعاني التي لا تبين لمجرد النظر إليها، وهو معيار ومقياس لتمام معنى الكلام ونقصه، أما الأغراض فهي أغراض المتكلم التي يقصدها من كلامه ويكشف عنها، ذلك أن المتكلم هو صاحب الموقف الكلامي وهو المبين عن غرضه في الكلام. ويمكننا أن نصف الإعراب أنه فرع عن المعنى وهذا واضح من أقوال القدماء ومن تابعهم من المحدثين، « إذ يعد تعبيرا دقيقا مع زيادة قيد أخر عليه إلى كلمة المعنى (إذ تصير فرع المعنى الوظيفي) لأنه بوضوح المعنى الوظيفي الذي نوهنا له ويمكن إعراب الجملة دون الحاجة إلى المعجم أو المقام ذلك أن وضوح المعنى الوظيفي هو الثمرة الطبيعية لنجاح عملية التعليق والذي يؤذي إلى الفهم بالضرورة، هو التسليم بأننا لو أبحنا لأنفسنا إلى أن نتساهل قليلا في أمر التمسك بالمعنى المعجمي مكونا نسق منطقيا من صور بنائية عربية لا معنى لها من الناحية المعجمية لأمكننا أن نعرب هذا النسق النطقي».[2]

وفي الأخير نستطيع القول: إن الإعراب يلعب دورا هاما في توضيح معنى الكلمة أو الجملة وإعرابها دون الحاجة إلى المعجم أو المقام.

[1]– عبد القاهر الجرجاني أبو بكر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة العربية، بيروت، د.ط، 1981، ص 23.

[2]– تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 182.

الفصل الثاني: النظرية السياقية وتأثيرها على المدارس اللسانية

المبحث الأول: البنيوية و السياقية

1- البنيوية عند دوسوسير

2- الوظيفية والسياقية

3- السلوكية والسياقية

المبحث الثاني: التحويلية و السياقية

المبحث الأول: البنيوية والسياقية

1 – البنيوية عند دوسوسير

أحدث الاهتمام بالسياق تغيّراً جذريا في مجرى الدراسات اللسانية البنيوية، التي لم تكن تهتم بالسياق الخارجي، كونه عنصرا خارجًا عن نظامها اللغوي، غير أن تصورهم للسياق لم يبق على حاله بل تغير، فنحن نعلم أن له أهمية كبيرة في تحديد المترادف والمشترك اللفظي، إذ لعب دورًا هاما في التنظير للغة، وفي تأويل وتفسير المقولات وربط اللغة بغيرها، وبالتالي كان له تأثيرًا واضحاً على اللسانيات البنيوية التي انبثقت من: « مدرسة لغوية حديثة سميت بمدرسة "دوسوسير" وقد كان لها الفضل في دخول الدراسات اللغوية مرحلة جديدة من مراحل البحث والتحليل، وأساسها دائما اللغة القائمة على منهج جديد باعتبارها مجموعة من العناصر المتشابكة مع بعضها، ولا قيمة لأي عنصر خارج شبكة العناصر، إذا لم تكن له علاقة بغيره، أو هي نظام من العلامات اللغوية المرتبطة مع بعضها البعض».[1]

2– مبادؤها: من مبادئ البنيوية ما يلي:[2]

1 – اهتمت بدراسة الأثر الداخلي والخارجي؛ فالأول يحتوي على النظام الذي تقوم عليه اللغة، وهو الأثر، كما يقوم على دراسة النظام اللغوي الداخلي، أما الثاني فيرتبط بمجتمع اللغة، وأدبه، وثقافته، وحضارته، ولعل دوسوسير يرى أن البعدين غير مرتبطين ببعضهما، ولا يؤثر أحدهما على الآخر ممثلا بلعبة الشطرنج.

2 – تدرس اللغة بذاتها ولذاتها، كما جاء به صاحبها وهي تمثل الهدف الرئيسي لعلم اللغة من حيث مادته الجوهرية في البحث، ومن حيث أن اللغة نظام من الرموز والإشارات، ينضوي تحت علم أشمل يسمى

[1]– صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، دار أسامة، عمان، ط1، 2012، ص179.
[2]– المرجع نفسه، ص179-180.

السيميولوجيا، ومن حيث أن اللغة هي الوعاء الفكري للمجتمع الذي يحتوي ثقافته وتاريخه، وأن الوظيفة الرئيسية للغة هي التواصل بين أبناء المجتمع.

3-تدرس اللغة دراسة وصفية فالأولى هي دراسة آنية فيما يسمى بالسانكرونية وقد تدرس بشكل ثابت ستاتيكي دون وجود أثر للزمن، والثانية دياكرونية تتبع تطور اللغة عبر الزمن.

4-وازن "دوسوسير" بين الكلام واللغة؛ فالكلام أداء الإنسان لها، ويحدث بواسطته نظام اجتماعي معين داخل المجتمع، واللغة تشكل هذا النظام الاجتماعي المستقل عن الفرد.

5-اللغة عنده نظام من الإشارات التي تعبر عن اللغة، وأن العلاقة بين تلك الإشارات ومدلولتها علاقة اعتباطية.

فهذه المبادئ ستوضح لنا بعض الآثار أو الملامح السياقية في المدرسة البنيوية، لكونها تقوم في أساسها على تحليل العناصر اللغوية الأخرى، فهي مشكلة علاقات عضوية تترابط فيما بينها بشيء من التوافق والاختلاف، حيث تبدأ من الكلام إلى الجملة إلى الكلمة وتنتهي بالسمة المميزة لأصغر وحدة صوتية فيها.

وعليه وبإجماع الباحثين من أن "دوسوسير" أول من وضع أوصول النظرية اللغوية الحديثة التي عرفت في تاريخ علم اللغة الحديث باسم المدرسة الاجتماعية السويسرية الفرنسية، فإنه قد حدد موضوع الدراسة اللسانية (اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها)، باعتبارها منظومة أو نظام تتعاضض فيه جميع الوحدات اللغوية، فلا قيمة للعنصر الواحد إلا بوجود الوحدات الأخرى في شكل خطاب أفقي تسلسلي والكلمة عنده ليس لها قيمة في حد ذاتها إلاّ بترابطها مع ما يسبقها أو يلحقها؛ لأنها لا تمتلك معنى واحد، فقد تتخذ أكثر من معنى في سياقات متعددة « ولعل "دوسوسير" بعد وفاته بثلاث سنوات وبالتحديد في سنة(1916) ظهر كتابه"دروس في الألسنية العامة" الذي أكسب مؤلفه شهرة واسعة في ميدان علم اللغة الحديث، فعدّ رائد الدراسات اللغوية الحديثة التي تعتمد التمييز

التام في مناهج البحث ما بين وصفية وتاريخية، وأدانت بظهور ما يعرف بعلم اللغة الحديث الذي يتخذ الوصف منهجا، والبنية اللغوية هدفا وغاية».[1]

وقد ميز فيه بين ثلاثة مصطلحات وهي: « اللغة Langauge واللسان Langue والكلام Parole ؛فالأول وهو اللغة عبارة عن نظام من الدلائل، يعبر عما للإنسان من أفكار وهي في أوسع معانيها باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة، وهي تختلف بهذا المفهوم عن المقصود بالمصطلح الثاني عنه؛ إذ يعني اللسان أو اللغة المعينة كاللغة العربية أو الانجليزية مثلا التي تشتمل على نظام من المفردات، والعناصر المترابطة والمعجمية، والنحوية، والفونولوجية، أما المقصود بالمصطلح الثالث و هو الكلام؛ فهو يعني ما يترجمه الفرد من هذه القواعد في صورة كلام فردي، فهو يخضع من جانب للنظام الفردي المتحدث به، بينما اللغة في حقيقتها نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، والكلام هو الأداء الفردي للغة الذي يتحقق من خلال هذا النظام».[2]

والملاحظ هنا أنه فصل اللغة عن الكلام في دراسته اللغوية كون أن اللغة ظاهرة اجتماعية موجودة لدى جميع الأفراد والكلام الذي يعتبر الاستعمال الفعلي لها على غرار فيرث الذي ينص في نظريته السياقية على أن اللغة والكلام لابد أن يدرس كلاهما ككتلة واحدة في دراسة تعتمد التحليل الوصفي الداخلي من جهة و دراسة أخرى تعتمد في الوقت نفسه التحليل الخارجي لها:« فمثلا نجد أن البنية للأصوات والعلاقة بين النطق والصرف، لا يمكن للباحث اللغوي إلا أن يلحظ الصلة المتينة بينها، فإطالة الحركة في كلمة مثل " سافر" تجعلها مختلفة عن كلمة " سفر "، وزيادة النبر على مقطع من المقاطع التي تتألف منها الكلمة يمكن أن تغير صيغتها الصرفية مثلما

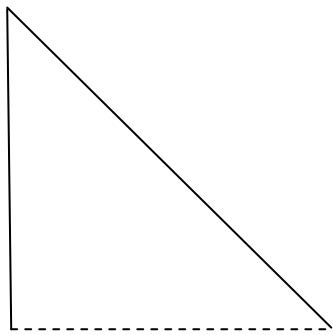
[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: الأطروحة السابقة، ص138.

[2]- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، ص263-264.

نجد في كلمة "star" الانجليزية، فالارتكاز على المقطع الأخير يجعل منها اسما، في حين أن الارتكاز على الأول يجعل منها فعلا، وهذا النوع من التغير ينسب إلى السياق اللغوي».[1]

واللغة كما يرى "دي سوسير" نظام من العلامات، تأخذ قيمتها عن طريق ترابطها بطريقة معينة حسب شروط معينة، والعلامة اللغوية عنده مكونة من صورة صوتية هي الدال، وصورة ذهنية هي المدلول: « فمدلول الكلمة في نظره هو ارتباط متبادل بين الكلمة والاسم، وهي الصورة السمعية وبين الفكرة».[2]

هذا وقد فسر "دي سوسير" أن العلاقة بين الدال والمدلول بأنها علاقة اعتباطية ويمكن توضيح هذه العلاقة من خلال المخطط الآتي.[3]



فالمرجع يعني الشيء الخارجي (السياق الخارجي) الذي يحيلنا عليه الدليل اللساني، وهو عالم غير لغوي لا يحدد فقط بالأشياء المادية المحسوسة، فكثير من المراجع لا توجد إلاّ في إطار الخطاب اللغوي فمثلا " حب" أو " صداقة " تسجل في الخطاب اللساني، ولكن لا نجد قيمتها الدلالية الحقيقية إلاّ داخل المجتمع اللغوي.

[1]- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007، ص30.
[2]- فردينان دوسوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، د.ط، 1985، ص303.
[3]- عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص58.

فالعرف الاجتماعي أو السياق الاجتماعي هو الذي يحدد دلالة الكلمة وقيمتها فالعملية التواصلية لا تتم إلاّ بربطها أو وضعها في سياق اجتماعي، وهذا ما نص عليه فيرث كذلك حيث يرى: « أن معرفة السامع وحدها بالإشارة اللغوية وعلاقة الدال بالمدلول أو التعبير عن المضمون لا تكتفي لتحديد المعنى، وإنما الذي يساعد على ذلك هو العرف الاجتماعي فضلا عن السياق اللغوي، فكلمة " Set" الانجليزية لها في المعجم معنى تطلب شرحها في قاموس أكسفورد نحو ثماني عشرة صفحة والسامع أو القارئ في لحظة الاستماع لا يستطيعان استيعاب ذلك كله ولا بعضه وإنما يؤولان إلى شيء من السياق بنوعيه اللفظي والحالي ».[1] وبالتالي فإن قدرة الكلام على أداء وظائفه التواصلية يتطلب وضعه في السياق الاجتماعي.

والمعروف أن علم اللغة عند "دي سوسير" هو جزء من علم أوسع وأشمل هو علم السيميولوجيا ومن هنا كانت العلاقة بين الدال والمدلول علاقة رمزية، يقول "فيرث" في ذلك: « إنا إذا كنا قد استطعنا للمرة الأولى أن نحدد لعلم اللغة مكانا بين العلوم فما ذلك إلاّ لأننا وصلناه بالسيميولوجيا ».[2] فالنظام اللغوي في نظره يتكون من عناصر داخلية وعلاقات خارجية، وبذلك فإن "دي سوسير" قد ميز بين دراستين مهمتين لكل واحدة منهما آليات وأسس، إحداهما دراسة تعنى بالكشف عن البنية الداخلية للغة، وهذه دراسة تقصي كل ما هو خارجي عن اللغة، ودراسة أخرى تكشف عن أمور مهمة، وليس الهدف منها الكشف عن البنية الداخلية للغة، وإنما تهدف إلى دراسة القضايا الخارجية عن البنية: « إذ يرى "دي سوسير" أن دراسة الظواهر الخارجية مفيدة جدا، ولكن القول إننا لا نستطيع فهم النظام اللغوي الداخلي من غير دراسة الظواهر الخارجية (السياقية)، إنما هو كلام بعيد عن الحقيقة فمثلا استعارة بعض الكلمات من لغة أجنبية، نلاحظ أن هذه الاستعارة ليست عاملا ثابتا في حياة لغة من اللغات؛ إذ نجد في بعض الوديان لمعزولة لهجات لم تأخذ لفظة غريبة واحدة من اللغات الأخرى. وبالتالي

[1]- إبراهيم خليل: اللسانيات و نحو النص، ص31.

[2]-عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، ص265.

نجده يتساءل عن مثل هذه اللغات التي قد تقع خارج الظروف الطبيعية للسان وهي في الأصل تحتاج إلى دراسة خاصة كدراسة الوحوش الغريبة لأنها لم تمتزج بغيرها».[1]

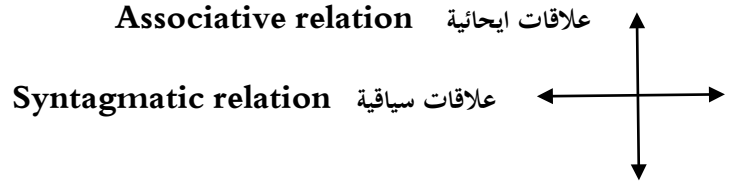
أما في علم اللغة الداخلي "فدي سوسير" لم يهتم باللغة كلغة، وإنما كنظام مركب من مجموعة من العناصر تربطها علاقة تجعل هذه العناصر لا معنى لها في حد ذاتها إنما معناها يتحدد في ارتباطها ببعض ، فكل تغيير يصيب عنصر منها يؤثر على العناصر الأخرى بل وعلى النظام كله، وقد شبه النظام اللغوي كما ذكرناه سابقا بلعبه الشطرنج وهنا يتضح لنا مفهوم السياق في بيان طبيعة العلاقات بقوله: « تشغل كل قطعة في لعبة الشطرنج مواضع مختلفة في سير المباراة طبقا للعلاقات بين بعضها البعض، وهذه المواقع التي تأخذها هي التي تكسبها قيما جديدة، فعلى سبيل المثال فإن البيدق يمكن أن يأخذ موقع الدفاع أو يخرج من المعركة هذه القيمة نفسها قد تكتسبها الوحدات اللغوية، فإنها تتميز بالدور الفعال الذي تؤديه».[2]

وبذلك فإن "دي سوسير" قد اعتمد السياق اللغوي الذي عرّف في النظرية السياقية أنه عبارة عن نظم الكلمة في الجملة، وموقعها من ذلك النظم وعلاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها وفي ذلك نجده يقول: « كل كلمة هي وحدة لغوية تأخذ مكانها المناسب داخل النظام، هذا المكان المناسب هو الذي يحدد معنى الكلمة».[3]

فالسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة وذلك بانتظامها داخل النظام اللغوي مع ما يسبقها أو يلحقها، وهذا هو مفهوم السياق اللغوي الذي: « يمكن أن يتنوع بالتقديم والتأخير لبعض عناصره في حدود القواعد اللغوية التي يسمح بها النظام، ويتطرح ذلك عند "دي سوسير" حيث قال بأن كل حركة في قطعة الشطرنج تخلق موقعا جديدا يجب أن يكون طبقا لقواعد اللعبة ».

[1]- فرديناند دوسوسير: علم اللغة العام، ص267.
[2]- عبد النعيم خليل: المرجع السابق، ص 267.
[3]- المرجع نفسه، ص 267

أما بالنسبة لسياق الحال والذي يعني الظروف والملابسات والموضوعات والأشياء المحيطة باللغة فقد كان لها تأثيراً واضحا في بناء نظريته وذلك من خلال تفريقه بين المصطلحات الثلاث التي أشرنا إليها سابقا وهي اللغة والكلام واللسان حيث يحمل هذا الأخير السمات الشخصية للمتكلم الفرد وهو ما تسعى إليه النظرية السياقية وإذا كانت العلاقات اللغوية من أهم الشواغل التي اتخذت مساحة في مقولات "دي سوسير" في الكشف عن عمل اللغة، وكيف تتحكم في سير عملها فإنه وصل به الأمر إلى القول بالترابطات السياقية والإيحائية التي يعبر عنها في علم اللغة بالتقاطع الشهير ذي المحورين الرأسي والأفقي.



فالعلاقات الإيحائية تمثل المحور الرأسي بينما العلاقات السياقية تمثل بالمحور الأفقي فكلاهما يشكلان الترابط العلائقي للغة وفي ذلك يقول: « إن العلاقات والاختلافات القائمة بين عناصر اللغة تدور في نطاق دائرتين متميزتين تولد كل واحدة منها نوعا معينا من القيم، وأن التقابل بين هذين النوعين يزيد في تبيان طبيعة كل منهما. فهما يوافقان صورتان من صور نشاطنا الذهني لازمنين معا، ولا غنى لحياة اللغة عنهما».[1]

وخلاصة القول فإن اللغة نظام علائقي تحوي نطاق دائرتين متميزتين، وهاتان الدائرتين موافقتان لصورتين من النشاط الذهني هما دائرة العلاقات السياقية والإيحائية فالأولى: « علاقة حضورية تقوم على عنصرين فأكثر، كلها متواجدة في نفس الوقت ضمن سلسلة من العناصر موجودة بالفعل، كما أنها قائمة على صفة الخطية للغة، وهي

[1]– فرديناند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة تر صالح القرمادي، الدار العربي للكتاب، د.ب، د.ط، د.ت، ص186.

صفة ينتفي معها، إمكان النطق بعنصرين معا في نفس الوقت، وتنتظم هذه العناصر الواحد تلو الآخر في سلسلة اللفظ ».[1]

فالعلاقات السياقية إذن لا تقوم على عنصر واحد فقط، وإنما تتعدى ذلك إلى عنصرين أو أكثر ضمن سلسلة كلامية منتظمة ومن ذلك فإنه يقول: « مفهوم السياق لا ينطبق على الكلمات فرادى فحسب بل وكذلك على مجموعات الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع كالكلمات المركبة والمشتقات، وأجزاء الجمل، والجمل، وينبغي أن لا تقتصر على اعتبار العلاقة التي تربط بين مختلف أقسام السياق مثل تلك التي بين"رغم " و "أنفه" في قولنا: رغم أنفه والتي بين " عبد " و " الله " في قولنا: عبد الله، بل يجب أن تعتبر كذلك العلاقة التي تربط الكل بأجزائه مثل قولنا: رغم أنفه في تقابلها مع " رغم " من ناحية و " أنفه" من ناحية أخرى أو مثل " عبد الله" في تقابلها مع " عبد " ومع " الله"».[2]

فالسياق إذن هنا لا يقتصر على الكلمة المفردة فحسب وإنما يتجاوز ذلك إلى حدود الجملة. فمثلا جملة" إذا كان الطقس جميلا خرجنا". فالكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها مع ما يسبقها أو يلحقها أو كليهما معاً فكلمة إذا لا معنى لها إلاّ إذا وضعت في سياق وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الكلمات، فوجود لفظة أو أكثر في تركيب ما تحتمل أكثر من معنى أو ذات دلالة غير واضحة فكلمة " Poor" الانجليزية إذا ارتبطت سياقيا مع كلمة" Man"، فإنها تعني فقير أو محتاجا ماديا، وإذا جاءت مع" boy" فهي لاستحقاق الشفقة، وإذا جاء مع" Box"، فإنها تعني صندوق الصدقات الذي تجمع فيه التبرعات لتوزع على الفقراء، وإذا كانت مع "Opinion"، فإنها تعني فكرة تافهة، وإذا جاءت مع كلمة" Health" فإنها تعني مريض أو منحرف صحيا. ونفس الأمر نجده في كلمة: « "بحري" التي تنقسم إلى وحدتين فرعيتين هما "بحر" و "ي" لكنهما

[1]- المصدر السابق، ص188.

[2]- المصدر نفسه، ص188.

ليستا جزئين مستقلين أضيف أحدهما إلى الآخر مجرد إضافة (بحر+ي) إنما الأمر يتعلق بنتاج أو توليفة بين عنصرين متضامنين لا قيمة لهما إلا بفضل تفاعلهما في صلب وحدة أكبر (بحر+ي)، فاللاحقة أي ياء النسبة لا وجود لها في حد ذاتها منعزلة؛ لأن ما يبوّؤها منزلتها من اللغة، إنما هو وجود طائفة من الكلمات المألوفة في الاستعمال مثل: "بريّ" و "وطني"».[1]

فياء النسبة إذن: إذا فصلت عن " بحر" تصبح لا قيمة لها ولا تحمل معنى في ذاتها إلا بوضعها في سياقات معينة بمعنى وجودها مع طائفة من الكلمات قد تكون مألوفة في الاستعمال وهو ما نص عليه "فيرث" من تسييق الوحدة اللغوية أو وضعها في سياقات متنوعة تكسبها دلالة واحدة لأن الكلمة الواحدة قد تحمل أكثر من معنى والسياق هو الذي يحدد معناها المناسب.

أما عن العلاقات الترابطية فهي: « مصطلح يطلق على العلاقات الاستبدالية بين العناصر اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في سياق واحد، وتعكس علاقة موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة وهي موجودة في ذهن المتكلم أو في أذهاننا بصورة عامة».[2] وبالتالي فإن العلاقات الترابطية تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية لا وجود لها إلا في الذهن ضمن سلسلة وهمية موجودة بقوة في الذاكرة: « ففي الكلمات التالية: (تعليم، علم، تعلم) عنصر مشترك بينهما هو الجذر، لكن قد تدخل كلمة تعليم ضمن مجموعة تعتمد عنصرا مشتركا آخر كالصيغة مثلا: (تعليم، تسليح، تبديل)، قد يقوم الترابط الإيحائي على مجرد ما بين المدلولات من تشابه مثل: (تعليم، تربية، تمرن) أو بالعكس على مجرد تشابه الصور الأكوستيكية (تعليم، مليم)، فأنت تجد اشتراكا مزدوجا في المعنى وفي الصيغة معا، وتارة أخرى اشتراكا يقتصر على أحدهما فقط فيمكن لأي كلمة من الكلمات أن توحي إلينا في كل حين بجميع ما من شأنه أن يرتبط بها بوجه من

[1]- المصدر السابق ، ص 188.

[2]- السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص57.

الوجوه، بينما يوحي إلينا كل سياق بوجود ترتيب تعاقبي ما وعدد معلوم من العناصر، باعتبار أن عناصر المجموعة الترابطية ليست معلومة العدد ولا خاضعة لترتيب معين».[1]

فهذه الكلمات (تعليم، علم، تعلم) يجمعها شيء مشترك وهو الجذر، أما على المستوى المفرداتي: فيكون تحديد كل فونيم بمقابلته بالفونيمات الأخرى التي يمكن أن تحل محلها في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات مثلا استبدال الحرف الاستهلالي لبعض الحروف مثل (تعليم ومليم) في حين على مستوى الجملة فإننا عندما ننطق بجملة مثل قولنا: « "ماذا قال لكم؟ " نقوم بتغيير أحد العناصر من نمط سياقي كامن مثل: " ماذا قال لك؟" أو " ماذا قال لنا"؟ وبتلك الطريقة يستقر اختيارنا على الضمير المتصل لكم، وهكذا فإن التجميعات الترابطية والأنماط السياقية جميعها لها دور تقوم به في آن واحد في هذه العملية المتمثلة في الاستغناء بصورة ذهنية عن كل ما ليس من شأنه أن يؤدي إلى التمييز المقصود المتصل بالنقطة المنشودة».[2]

وبذلك يتضح من هذه المحاولات أن "دي سوسير" كان يسعى إلى تنظيم الدلالات وبنائها تبلورت كلها في إطار مفهوم المجال أو الحقل الذي يشكل بالفعل العلاقات الخاصة التي يمكن أن تربط المدلولات اللغوية فيما بينها داخل النظام اللغوي، ومن المعروف أن "دي سوسير" عرف السياق بمعناه المقامي والمقالي عند حديثه عن لعبة الشطرنج التي تمثل كل قطعة منها حدثا لغويا معينا، فكما أن كل قطعة من هذه اللعبة لا تؤدي دورها بعيدا عن القطع الأخرى كذلك الحدث اللغوي يجب أن يأخذ مكانه في إطار الأحداث اللغوية الأخرى التي تمثل فيما بينها ما يمكن أن يسمى بالسياق اللغوي وفي تفريقه أيضا بين المصطلحات الثلاث اللغة والكلام واللسان إشارة إلى السياق بمعناه المقامي.

[1]- فردينلند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة، ص 189-190

[2]- المصدر نفسه، ص196.

2- الوظيفية والسياق:

عُنيت مدرسة براغ بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف معينة، ولعل من أهم مبادئها ما يلي:

أولا: المبادئ الجمالية:

« 1- الفن وطبيعته السيميولوجية: يقوم هذا المبدأ على أن فهم علم الجمال البنيوي يكون في إطار مذهب علم السيميولوجيا، ولم يبق الأمر قاصرا على الأدب، بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية ، وأصبح شاملا لما يسمى بشخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني معا، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دراسة مشكلات الرمز والعلامة ودلالتهما، ومنه فعلى علم الجمال أن يتناول الأعمال الفنية كمركز وبنية وقيمة في الوقت نفسه.»[1]

2- «دور الفاعل في الفكر الوظيفي: يرى"موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وعليه فالبنيوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها كما توضحها بنية العمل الفني نفسه.»[2]

3- خواص الوظيفة الجملية وعلاقتها بالوظائف الأخرى،إذ يرفض فلاسفة براغ تباعية الفن للتطور الاجتماعي رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيرا على الأبنية الفنية لأن هذا التأثير خاضع لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وهي التي لا تسمح بقيام علاقة سببية بين الفن والمجتمع، فالنظام الاجتماعي لا يولد بالضرورة

[1] صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ،ط2،1980،ص85-86.
[2] المرجع نفسه،ص 85-86.

شكلا معينا من الإبداع الفني وعليه يجب أن يوضع في الاعتبار قطاعين من الواقع أولهما: واقع الرمز أو العلامة، وثانيهما الواقع الذي يشير إلى هذا الرمز وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي ومقتضياته».[1]

ثانيا: المبادئ اللسانية

« 1- تصور المدرسة عملية التطور اللغوي على أنها كسر لتوازن النظام القائم وإعادته مرة أخرى، "فجاكبسون" يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي للوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي، وأن للطاقة التعبيرية للأصوات دورا هاما في إدخال تعديلات على الكلمات والأنظمة السياقية والموسيقية.

2- تتصور المدرسة أن البنوية اللسانية كل شامل، تنظمه مستويات محددة .

3- ترى أن العناصر اللسانية والعلاقات القائمة بينها متعايشة ومترابطة ولا يمكن فصلها.

4- ترى أن اللسانيات البنيوية تتصور الواقع على أنه نظام سيميولوجي رمزي وتميز بين إجراءين مختلفين: أولهما: التقاط العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة وإمكانية التعبير عنها من طرف المتحدث بكلمات من اللغة التي يستخدمها وثانيها: وضع العلاقة المختارة التي تشكل كلا عضويا (الجملة) ويمكن أن تقوم الكلمة مكان الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.

5- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالة الكلمات المعجمية ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة ، إنما هو نظام تتناسق داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها».[2]

[1]- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ص85-86.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

– تأثيرها على السياق

تعود بداية هذه المدرسة إلى حلقة براغ التي أسسها "ماتيسيوس" عام 1926م كما تعدّ الوظيفية من الاتجاهات البنيوية، وهي أقرب المناهج اللسانية اعتبارا للسياق من خلال الدراسة الفونولوجية لأحد علماء هذه المدرسة وهو "نيكولاي تروبتسكوي"، حيث وضع نظرية فونولوجية تقوم على دراسة الفونيم باعتباره علامة لها قيمتها الدلالية.

"فتروبتسكوي" مثلا فرق بين نوعين من الدراسة الصوتية: « الأول يختص بدراسة ووصف اللغة مجردة من سياقاتها؛ أي مستقلة عن غيرها، ومنعزلة خارج البنية اللغوية، والثاني يختص بدراسة النظام الصوتي للغة وقد أطلق على هذه الدراسة اسم الفونولوجيا، وكان هذا التمييز على أساس أن السمات النطقية والسمعية للصوت منعزلا عن السياق؛ أي مجردا تختلف عن سماته النطقية والسمعية وهو في سياق صوتي، وذلك من منطلق تأثر الأصوات بعضها ببعض على مستوى التركيب، فإذا قلنا أن النون/ن/ صامت مجهور أغن فنحن نصف هذه النون باعتبارها وحدة صوتية أو صوتا منعزلا غير متصل أو مجاور لغيره من الأصوات، ولكن ثمة درجات أو تنوعات من النون بحسب سياقها الصوتي فالنون مثلا في كلمة نهر من الناحية الصوتية الخاصة؛ أي من حيث تكوينها النطقي والفيزيولوجي غير النون في كلمة منك، وعنك، غير أن النون في كل هذه الكلمات هو الفونيم/ن/ حيث لا تؤدي إلى اختلاف في المعنى بين هذه الكلمات، إذ من شروط الفونيم أن يحمل معنى دلاليا على مستوى الكلمة ففونيم/ن/ يحمل معنى في كلمة نام، فهو الذي جعلها تختلف عن كلمة قام أو حام مثلا. لكن النون في الكلمات السابقة كلها هو فونيم النون سواء كان مرققا أو مفخما».[1]

[1]– ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص 268–269.

أي أن الصوتان المختلفان من نفس اللغة في سياق واحد من الحروف لا فرق بينهما ويمكن مع ذلك استبدال أحدهما من الآخر دون أن يحصل أي تغيير في المعنى المفهوم من الكلمة، وقد يكون الصوتان وجهان اختياريان لفونيم واحد فيكون استبدال فونيم بفونيم آخر مؤدّيا إلى تغير في المعنى.

كما نجد الوظيفيين قد ركزوا في دراستهم للغة على مفهوم الوظيفة حيث نجد "كارل بوهلر" قد صنف الوظائف اللغوية إلى ثلاثة أقسام وهي: « التعبير بالنسبة إلى المتكلمين والاستدعاء بالنسبة إلى السامع والعرض بالنسبة إلى الشيء المعبر عنه».[1]

أي أن المتكلم يقوم بالتعبير عن شيء ما، فيقوم السامع بدور الاستدعاء والاستماع منه، فيتم بذلك عرض هذا الشيء والعبير عنه.

وقد وسع "رومان جاكبسون" عناصر الموقف الكلامي فجعلها ستة عناصر ، لكل عنصر منها وظيفة معينة، ووضع مخططا للاتصال أو التخاطب ليصف ذلك كالآتي: [2]



[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: الأطروحة السابقة، ص174.

[2]- رومان جاكبسون: قضايا شعرية تر محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988، ص 31-33.

فمن خلال هذا المخطط الجاكبسوني يتضح لنا أن العملية التواصلية تستدعي ستة عوامل انطلاقا من ذلك أن: «المرسل الذي يرسل رسالة لغوية إلى المرسل إليه غير أن هذه الرسالة ، لكي تكون مؤثرة في المستمع والمتلقي لا بد أن تقتضي بداء سياقا أو مرجعا تحيل عليه، ثم سننا (code)، مشتركا بين المرسل والمرسل إليه». [1]

وعليه عد "رومان جاكبسون" الوظيفة المرجعية هي الوظيفة المهيمنة على سائر الوظائف؛ كونها تعدّ معيار خارج لغوي، تتضمن عالم الأشياء والموجودات؛ فهي تحيل على واقعة لسانية خارجية توضح علاقة الدال بالمدلول ومعنى الشيء لا يتحقق إلاّ بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة؛ أي بمعرفة المقام أو سياق الحال، وبالتالي فهي تجمع كافة العناصر اللغوية من ألفاظ وجمل وعناصر غير لغوية (العالم الخارجي) ومن هنا يمكن القول أن السياق وظيفة تؤديها اللغة، والمرجعية هي وظيفته.

كما نجد "أندريه مارتيني" يؤكد على أهمية السياق وقيمته من خلال قوله: « خارج السياق لا تتوفر الكلمة على معنى» [2] ؛ أي أن الكلمة لا معنى لها ولا قيمة لها دون ورودها فيه.

وقد أكد ذلك "مارتيني" بقوله: « قيمة السياق من حيث مدلول الوحدة الدالة يختلف حسب السياق شأنه في ذلك. –كما يقول– شأن الأداء اللفظي لإحدى الوحدات الصوتية » [3] ؛ أي أن معنى الوحدة اللغوية الدالة يختلف حسب السياق شأنها شأن الوحدات الصوتية الأخرى.

« ويضرب مارتيني مثالا لذلك بالفعل جرى، الذي يتغير مدلوله في الأمثلة التالية: جرى خلف العربة، جرى نحو حتفه، جرى على ألسنة الناس، جرت العادة، جرى النهر» [4] ؛ حيث ذهب كذلك إلى حدّ ينفي عن الوحدات

[1]– مختار لزعر: اللسان، اللغة والكلام من التفريط السياقي إلى الافراط النسقي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2010، ص131.
[2]– سالم شاكر: مدخل إلى علم الدلالة تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط،1992، ص37.
[3]– أندريه مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة تر أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، د.ط، 1984، ص103.
[4]– المرجع نفسه ، ص103.

اللغوية، أي مدلول خارج السياق حين لجأ إلى مقارنة تتابع الوحدات اللغوية الدالة بالتسلسل الذي تظهر وفقه أرقام هاتف معين، ففي رقم الهاتف (2413) مثلا: فإن الرقم (2) لا يمثل ولا يرمز إلى أيه حقيقة بمفرده، وبقية الأرقام فقط (2431) هي التي تمثل رقم هاتف ما، وتبعا لذلك فإن المجموع (2413) فقط هو الذي يملك قيمة دالة»[1]؛ أي أن الرقم (2) لا يحمل دلالة في حدّ ذاتها إلا بوضعه في سياق مع باقي الأرقام الأخرى.

كما ركز الوظيفيون على« ما يصاحب الكلام من حركات وأفعال ليست لغوية بحتة، ولكنها ذات أهمية في فهم الخطاب كالتنغيم والنبر اللذان يحددان وظيفة الجملة»[2] ؛ وهذا ما دعت إليه النظرية السياقية فعلى سبيل المثال قد تنطبق الجملة التالية: (سأعطيك خمسة دنانير) في السياق على شكل وعد أو تنبؤ، وقد تنطبق الجملة: (اجلس) على شكل طلب، أو أمر، أو إذن بالجلوس.

كما نجدهم قد اهتموا بالوظيفة على مستوى الجملة والكلمة فنجدهم يعرفونها بأنها: « أصغر وحدة لغوية ذات معنى في لغة ما».[3]

وقد قسم الوظيفيون الكلمة أو المورفيمات إلى نوعين:

1المورفيم الحر: Freemorphéme أي الذي يمكن استعماله بحرية كوحدة مستقلة في اللغة مثل : رجل، نام، إلى ، فوق،... الخ.

2- المورفيم المقيد: Bound Morphéme هو الذي لا يمكن استخدامه منفردا، بل يجب أن يتصل بمورفيم حر، أو مقيد ومن أمثلة هذا: الألف والنون للدلالة على معنى المثنى كما في كلمة "مدرسان".

[1]- مسعود بودوخة: السياق والدلالة، ص40.

[2]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص227.

[3]- التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، الجزائر، د.ط، 2008، ص 16.

وهذه الوحدة اللغوية قد تكون على حرف واحد، وقد تكون على أكثر، وقد تكون حركة، وكل قطعة من الكلام ينتهي إليها التحليل الأفقي أي: التقطيع وتدل على معنى أو أكثر من معنى فهي كلمة فمثلا: الكتاب مفيد: (الكتاب) كغير مصطلح هي كلمة، أما في الاصطلاح فهي أكثر من كلمة؛ إذ هناك قطعة أخرى ينتهي إليها التحليل ونعني بذلك (ال)، لكن (ال) لا يمكن تقطيعها أي: لا يمكن أن نصل إلى قطعة أصغر من (ال) دالة على معنى، كذلك (كتاب) إذا حاولنا تقطيعها أكثر مما هي عليه لا نصل إلى كلمات لأننا إذا فعلنا ذلك سننتهي إلى وحدات لا تدل على معاني. فالمجموع أي: (ك/ت/ا/ب) هذا النسق أو السلسلة من المخارج مجموعها هو كلمة، لأنه يدلّ على معنى والمقياس هو أنّنا لا يمكن أن تحلل إلى أكثر».[1]

أما على مستوى الجملة فإنهم يعتبرونها أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلا يختلف من مجموعة إلى أخرى عن طريق وحدات ذات دلالة وبشكل صوتي (اللفاظم). ومن هذه النظرة إلى اللغة جاءت فكرة الجملة الوظيفية عند أصحاب هذه الاتجاه. فكان ينظر إليها على أنها تتكون من شقين: الأول مسند والثاني مسند إليه، ومن ثمة أصبح يقصد بالمنظور الوظيفي للجملة هو ترتيب عناصرها في ضوء السياق الفعلي، فهي تمثل خاصية من خاصيات الاتصال تتجلى في سياق تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها، « ذلك أنه في عملية الاتصال اللغوي تتعدد العناصر التي تدخل في تكوين الجملة وهذه العناصر لها إمكانية متفاوتة في إثراء معلومات المستمع، قد يحتوي على ما يعرفه المستمع بالفعل من خلال السياق، وبعضها يحتوي على معلومات جديدة.»[2]

و طبقا لمفهوم دينامية الاتصال، فإن هناك ثلاث وحدات وظيفية في الجملة هي المسند والمسند إليه، وبينهما تأتي وحدة انتقالية تتكون غالبا من العناصر الإضافية (الظرف، الحال) أو العناصر التي تحتاج إليها لاستقامة الجملة نحويا (أدوات النسخ، أدوات الشرط...الخ).

[1]-المرجع السابق، ص16-17.

[2]- يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد3، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1989، ص77.

والجمل التالية توضح هذه الوحدات:[1]

1-السياق: أين رمى الفراش الأوراق؟

الجملة: في سلة المهملات	رمى	الفراش	الأوراق
مسند إليه	وحدة انتقالية	مسند	مسند إليه

2- السياق: هل جميع الناس ظالمون؟

الجملة: والظلم	من شيم النفوس	فإن تجد وحدة انتقالية ذاعفة	فلعلة	لا يظلم
مسند	مسند إليه	مسند	مسند إليه	وحدة انتقالية

3- السياق: هل تصدق أنني نسيت أن أغلق باب شقتي ليلة أمس؟

الجملة: دخلت قطة صغيرة داخل المطبخ

مسند إليه

فنلاحظ في هذه الجمل الدور الذي يلعبه السياق هو الذي يحدد لنا ما إذا كانت أحد عناصر الجملة شيئا معلوما، أو شيئا جديدا، فهو يمثل الإضافة التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع، فمثلا لو أخدنا الجملة الأخيرة نجدها تحمل معلومة جديدة يريد المتكلم أن يخبر السامع بها.

« كما نجد أن من عناصر السياق الدلالي الخاص بالجملة في المنظور الوظيفي استخدام أداة التعريف، فالكلمة المعرفة بأداة التعريف غالبا ما تحمل درجة متدنية من الدينامية، وذلك على افتراض أن أداة التعريف تشير إلى

[1]- المجلة السابقة، ص78.

شيء معهود، أو معروف لدى المستمع فحينما نقول: وصلت الرسالة أمس ونسند إلى الرسالة وظيفة المسند، فهذا يعني أن المتكلم كان قد أتى على ذكر الرسالة في فترة سابقة؛ أي أنها تشير إلى شيء معلوم. ولكن هذه ليست وظيفة ثابتة لأداة التعريف فمع تظافر العوامل الدلالية والسياقية فإن أداة التعريف قد تقترن بالمسند إليه والمثالين التاليين يوضحان ذلك:

1-السياق: هل جميع الطلبة الذين تدرسهم حاليا ضعاف في اللغة؟

الجملة: كلاّ الطالب المستجد	على وجه الخصوص	يعاني من ضعف في اللغة.
مسند إليه	مسند	وحدة انتقالية

2- السياق: أين ضاع قلمك؟

الجملة: ضاع قلمي في المكتبة.

فالمسند إليه يقترن هنا بما يشكل المعلومة الجديدة في الرسالة اللغوية وذلك على الرغم من ارتباط المسند إليه بأداة التعريف، ذلك أن الوظيفة الأساسية لأداة التعريف هي أن تبين أن الاسم معرف من حيث الإشارة وهي لا تستطيع أن تجعل الاسم أكثر دينامية، وإذا وجدنا اسما معرّفا يؤدي وظيفة المسند إليه فهذا راجع إلى وجود عوامل أخرى والتي يعدّ السياق من أهمها».[1]

ومن هنا يتضح كيف أسهم السياق في توضيح عناصر دينامية الاتصال لأننا حين نتعامل مع الجملة بهذه الكيفية فهذا يمكننا من التعرف على تركيبة المعلومات، وبها يمكننا التحدث عن المسند الصريح فهو عنصر يحمل أدنى

[1]- المجلة السابقة، ص 79.

درجة من درجات الدينامية، والمسند إليه الصريح عكس المسند الصريح، فهو يحمل أعلى درجة من الدينامية مثال ذلك في الجملة الآتية:

السياق: أين وجدت الدفتر؟

الجملة: وجدته في المحفظة.

مسند صريح مسند إليه

فالضمير في هذه الجملة يعود إلى شيء معروف سبق ذكره في السياق وقدرته على إثراء معلومات القارئ ضئيلة جدا، ولهذا يصنف على أنه مسند صريح.

وبذلك« اتخذت الوظيفية مسارا جديدا من حيث المفهوم والإجراء المتخذ داخل السياقات التركيبية، مما أدى بأهل الاختصاص إلى تحديد وظيفتها حين تركز اهتمامها على اللغة في حدّ ذاتها على أساس أنها هي الكفيلة بإعطاء المتكلم القدرة في أن يستعمل عددا هائلا من الأساليب اللغوية على اختلاف السياقات والمقامات».[1]

وبالتالي فإن أعلام المدرسة الوظيفية أكدوا على أهمية سياق الحال في عملية التوصيل، وحصروه في النظام التواصلي للغة وحاولوا ضبطه من خلال القول بأهمية الكشف عن الوظيفة المرجعية لأهميتها ضمن الوظائف الأخرى خاصة في العملية التواصلية.

3- السلوكية والسياق:

إن النظر في اللغة وفي دراستها على أساس المذهب السلوكي في علم النفس ظهر وازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل خير ممثل لهذا الاتجاه في الدراسات اللغوية "بلومفيلد" «الذي أكد بالدليل أن القوانين العامة

[1]- مختار لزعراللسان ،اللغة، الكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، ص72.

الوحيدة المفيدة بالنسبة للغة هي القوانين الاستقرائية، وعرف معنى الصيغة اللغوية بأنه الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى والاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع».[1]

ومن ثمة "فبلومفيلد" ، « قد ربط المعنى الدلالي بالظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي سواء أكانت هذه الظروف والملابسات لغوية أم غير لغوية، وهذا مبدأ تسعى إلى تحقيقه النظرية السياقية من خلال ربط الحدث اللغوي بالأحداث اللغوية وغير اللغوية التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بالكلمة والتي تساعد في وضوح الدلالة».[2]

وعليه فإن المعنى عنده هو المقام الذي يتحدث فيه المتكلم وورود الفعل (الاستجابة من السامع)، وبهذا لم تغب فكرة سياق الحال عند "بلومفيلد" كون التحليل اللغوي يبدأ من الأشكال لا من المعنى، لأن دراسة الأشكال اللغوية تابعة للمعنى. « كونها تقوم على ثلاثة عناصر أولهما السياق الخاص بالمتكلم، وثانيهما الأحداث اللغوية نفسها التي يقوم بنطقها، وثالثها الاستجابة من قبل السامع نحو هذه الأحداث اللغوية ويظهر ذلك جليا من خلال قصته المشهورة "جيل وجاك"، حيث أنهما كانا يسيران في الطريق حيث ترى جيل تفاحة على شجرة فتسأل جاك أن يحضرها لها، يتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة، تأكل جيل التفاحة فجوع جيل ورؤيتها التفاحة يشكلان المثير (م) وبدلا من استجابتها المباشرة (س) بتسلقها الشجرة، عملت استجابة بديلة (سَ) في شكل منطوق معين وهو المثير البديل».[3]

حيث أن هذه الواقعة تشتمل على ثلاثة أقسام هي: « الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي، الكلام، الأحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي».[4]

[1]- مسعود بودوخة: المرجع السابق، ص44.
[2]- عبد النعيم خليل: المرجع السابق، ص273.
[3]- أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص62.
[4]- عبد النعيم خليل: المرجع السابق، ص 274.

وبهذا يتضح أن هذه العناصر الثلاثة تشمل كل الملابسات التي تدفع شخصا لإحداث الكلام، وتدفع السامع نحو الاستجابة وبذلك نجده قد حصر السياق في مفهومي المثير والاستجابة.

ومن هنا يمكن لنا أن نقول أن: « المعنى عند بلومفيلد خضع لعوامل أثرت بشكل أو بآخر بالمعنى الذي ارتبط عنده ارتباطا كاملا بالظروف والملابسات التي تحيط بالحدث الكلامي، التي تتسع لتشمل العالم الذي يعيش فيه كل من المتكلم والسامع، وما يتبين لنا أنه وقع في دراسته اللغوية على معظم العناصر التي تكون في مجموعها نظرية السياق، وإن كانت عنده مبعثرة كما هو الحال عند "دوسوسير" و"تروبتسكوي" في حين أن هذه العناصر أصبحت واضحة مع فيرث».[1]

ومن هذا كله يتضح لنا أن "بلومفيلد" حصر سياق الحال بالكشف عن الناحية السلوكية دون الاهتمام بالنواحي الاجتماعية، كما أنه استعان به للكشف عن بنية النص الذي ينبغي دراسته في هذه العملية السلوكية الحاصلة بين فردين.

المبحث الثاني: التحويلية والسياق

لقد لاقت نظرية "تشومسكي" من الرواج في الدرس اللغوي الحديث ما لم تلقه أية نظرية أخرى في هذا العصر حيث قيل:« إن أية نظرية لغوية لا يمكن أن تتجاهل نظرية "تشومسكي" بل إن مكانة أية نظرية وانجازها في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة يحدد بمدى صلتها بنظرية "تشومسكي" قربا أو بعدا نقدا أو تعديلا».[2]

وقبل الحديث عن تأثر التحويليون بالسياق لابد أن نتعرض لأهم مبادئها لكي نكتشف من خلالها تأثيرات وملامح النظرية السياقية.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 275.

[2]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص67.

1- مبادؤها:

قامت نظرية "تشومسكي" على عدة مبادئ يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- إن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات ومع ذلك فهي تتيح أو تولد عدد غير محدود من الجمل وفي هذا الصدد يقول: « إن كل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب هي لغات بهذا المعنى، ذلك المعنى الذي يقضي بأن كل لغة تشتمل على عدد محدود من الفونيمات والحروف في أبجديتها، وكل جملة في حقيقتها هي سلسلة من هذه الفونيمات أو الحروف ومع ذلك فإنها تولد جملا لا نهاية لها».[1] "فتشومسكي" يرى بأن اللغة قدرة تتيح للفرد إنتاج عدد لا متناه من الجمل ويشارك في مختلف المواقف السياقية والاجتماعية.

2- « افترض "تشومسكي" مبدأ العالمية في كل ما وصل إليه من قواعد، بمعنى أنها لا تختص بلغة معينة بل تنطبق على كل لغة من اللغات، إذ فكرة العالمية تعني عنده تطبيق هذه القواعد على كل لغة».[2]

3- « يختلف الإنسان عن الحيوان في أن الحيوان آلة أي يمكن تفسير كل ما يصدر عنه تفسيرا آليا بينما الإنسان ليس كذلك، ومن ثم لا يخضع للتفسير الآلي، ويركز "ديكارت" على أن أهم فرق بين الإنسان والحيوان في القدرة على اللغة فالانسان قادر على اللغة الحيوان عاجز عنها».[3]

وعليه فإن القدرة على اللغة وامتلاكها والتصرف فيها من أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان « فالقدرة Competence" وتعني جزء من المكونات البيولوجية للإنسان، كما يقصد بها قدرة الإنسان واستعداده على صياغة ما يجيش بخاطره من أفكار ومعاني في قوالب أسلوبية تظهر على هيئة أصوات كلامية تمثل ما يسمى بالبنية

[1]- عبد النعيم خليل: المرجع السابق، ص291.
[2]- المرجع نفسه، ص291.
[3]- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1979، ص122.

السطحية Surface Structure ، أو هي بمعنى عام معرفة المتكلم باللغة ويقترن بهذه القدرة ما يسمى بالأداء Performance وهو قدرة الإنسان على استخدام اللغة».[1]

ومنه فاللغة عند "تشومسكي" يقابلها مصطلحان هما: الكفاية والأداء حيث أن الكفاية تتمثل في قدرة الفرد على إنتاج عدد لا متناه من الجمل، في حين أن الأداء هو الاستعمال الفعلي لها وبذلك فإن دراسة اللغة عنده كذلك تشمل جانبين: الأول ظاهر يتمثل في البنية السطحية، وهي التمثل الصوتي أو الكتابي للجملة، وجانب آخر غير ظاهر يتمثل في البنية العميقة وهي عملية فكرية تتم في الذهن.

ومن خلال هذه الأسس يتضح لنا أن النظرية التوليدية التحويلية قد اتخذت ثلاث طرق للتحليل النحوي معتمدة في ذلك على السياق اللغوي كركيزة لهذا التحليل وهذه الطرق هي:

1 – « طريقة القواعد النحوية Finitestategarammar: وتقوم هذه الطريقة على سلسلة من الاختيارات تتولد في آخرها الجملة النحوية، وتتحدد هذه الاختيارات باختيار العنصر الأول للجملة ثم الذي يليه، وهكذا على أن يراعى الترابط السياقي بين هذه العناصر، فلو اعتبرنا أن الجملة في اللغة قسمان: اسمية وفعلية مع الأخذ في الاعتبار مورفيمات التأنيث والتذكير والتثنية والجمع، وأوجه التطابق بين العناصر اللغوية على مستوى التركيب ووصفنا بعضا من العناصر التي تمثل هاتين الجملتين التي تتفق وتترابط مع العنصر الأول سواء كانت خاصة بالجملة الاسمية أم الفعلية فإن اختيار العنصر الأول يترتب عليه اختيار العنصر الثاني مما يترابط معه سياقيا».[2]

[1]– عبد النعيم خليل: المرجع السابق، ص293.

[2]– ينظر عبد النعيم خليل: مرجع سابق ص294.

والشكل الآتي يوضح ذلك:

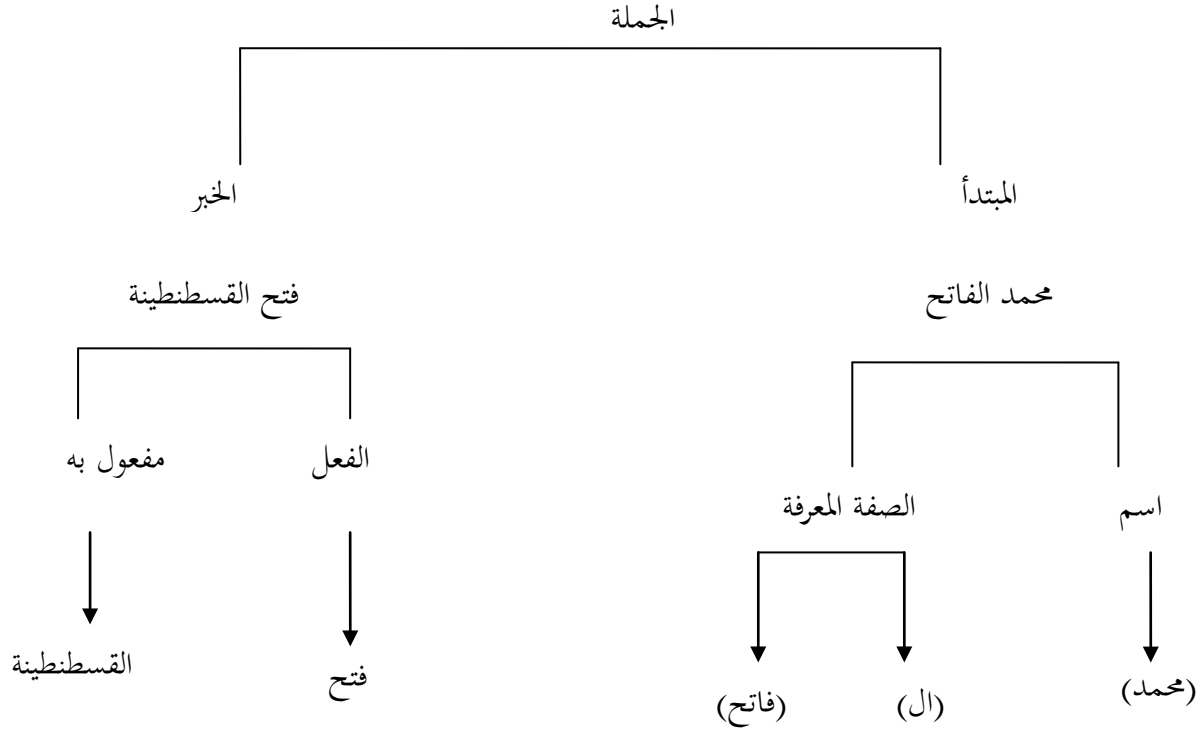
هذا	العلماء	مجتهدات
هذه	الفلاح	المجتهد
هؤلاء	القاد	كريمة
الرجل	الطالب	مجتهدون
العلم	الطالبة	محبوب

فلو اخترنا كلمة "هذا" بداية للجملة فإنه يمكن أن نختار معها من العمود الرأسي الثاني الكلمات التالية: الفلاح، القائد، الطالب، ولو اخترنا كلمة "الفلاح" مع كلمة "هذا" فإنه يمكن أن نختار معهما من العمود الرأسي الثالث الكلمات: المجتهد، محبوب.. وهكذا حتى تكتمل الجملة أما لو اخترنا كلمة "هذه" أو "هؤلاء" فإنه يترتب عليه اختيار الكلمات التي تترابط سياقيا في بقية الأعمدة».[1]

2 – طريقة تركيب أركان الجملة: وتعتمد هذه الطريقة على تحليل الجملة إلى المكونات المباشرة في شكل طبقي بعضه أكبر من بعض إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من الكلمات وحتى الموفيمات فمثلا جملة: محمد الفاتح فتح القسطنطينة.

[1]– المرجع السابق، ص294.

يكون تحليلها على الشكل التالي:[1]



و من خلال هذا التحليل فإن تشومسكي يحاول الكشف عن المكونات التي تتفق فيها كا اللغات والتي لها علاقة مباشرة بالبيئة دون المعنى، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ-الجملة = مركب اسمي+ اسم

ب- المركب الاسمي = أداة التعريف + اسم

ج-المركب الفعلي = فعل + مركب اسمي

د-الاسم

هـ-الفعل

و-أداة التعريف.

[1]- ردة بن ردة بن ضيف الله الطلحي: الأطروحة السابقة، ص177.

كما وجد "تشومسكي" « أن هنالك كثيرا من الجمل التي تحتمل معنيين مختلفين لا يميز الشكل الخارجي بينهما فالجملة التالية مثلا: كان عقاب علي صارما غير واضحة خارج السياق فلسنا ندري إن كان عليا هو الذي عاقب إنسانا آخر أم أن إنسانا آخر هو الذي عاقب عليا».[1]

أما الطريقة الثالثة فقد ابتدع "تشومسكي" نظرية لغوية عرفت بنظرية النحو التحويلي أو القواعد التحويلية والتي حاول من خلالها الكشف عن الكيفية التي يتم بها الانتقال من المستوى المحدد للبنية العميقة إلى الشكل النهائي للجملة وبذلك نجده قد وفق في إدخال عنصر الدلالة إلى التحليل الذي وضعه بعد أن أهمل الجانب الدلالي الذي هو أساس النظرية السياقية، « وعده واحدا من العناصر التي تساعد على التحليل اللغوي، حيث جعل البنية العميقة تعبر عن المعنى بعد أن تكون فيه القواعد النحوية الذي يهدف إليه البحث اللغوي لابد أن تكون فيه القواعد محدودة، وقادرة على توليد جميع الجمل الممكنة ومتصفة بالشكلية والاستقلال عن المعنى»[2]. فالبنية العميقة والسطحية:« مجموعة من العمليات التحويلية وفق قواعد تسمى قواعد التحويل»[3] ، وهي نوعان: قواعد تحويلية اختيارية وقواعد تحويلية إجبارية، « وهذه القواعد تتضمن في شكلها المطور الذي ظهر في كتابه "مظاهر النظرية التحويلية" قدرا من الاهتمام بالجوانب الدلالية بإدخاله عناصر المعنى في نموذج التحليل لمكونات الجملة وهذا الإدخال لعنصر المعنى في التحليل في نظرية "تشومسكي" قاده إلى ما يشبه بالرصف لدى النظرية السياقية، وإن كان بعمق أكبر من حيث أنه لا يقف عند حدود الترابط المعجمي فقط بل يشمل كذلك الترابط النحوي تبعا للمفهوم العام لما يقدمه "تشومسكي" من دمج واضح لكل مستويات الدرس اللغوي في شكل قواعد يندرج من البنية العميقة إلى البيئة السطحية»[4] فنجده قد اهتم بالجوانب الدلالية التي تقوم عليها النظرية السياقية إذ لم يتوقف عند حدود الترابط المعجمي بل يتجاوز ذلك إلى ما يسمى بالترابط النحوي، ففي حديثه عن السمات

[1]- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، علم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص95.
[2]- المرجع نفسه، ص 118
[3]- جون ليونز: نظرية تشومسكي، ص158.
[4]- المصدر نفسه: ص160.

الدلالية قد أشار إلى ما يمكن أن يسمى بالسياق اللغوي، فقد لاحظ أنه: «عند تصنيفه لبعض الكلمات لابد أن نأخذ بعين الاعتبار السياق اللغوي الذي قد تقع فيه الكلمة، وضرب مثالا لكلمة Boy Frighten في جملة The boy sincerity may frighten ؛ إذ أن تصنيف هذه الكلمات دلاليا إنما يكون بالنظر إلى موقعها في سياق الجملة، فكلمة boy يمكن أن تصنف بالنظر إلى موقعها بالنسبة لكلمة Frighten في الجملة، وكلمة Frighten. وهذا ما يسمى بالملامح السياقية Contextual Feature، كما نجده قد راعى السياق اللغوي في تصنيفه الكلمات التي أطلق عليها (c.s) أي الرمز المركب، وهي الكلمات التي يمكن أن تقبل أكثر من وظيفة نحوية، وقد أطلق على ذلك السياق المعنوي Contextsensitiv في مقابل ما أسماه بالسياق الحر Context free».[1]

وبهذا تصبح الصحة الدلالية ضمن قواعد التحويل التي تمكن من إيصال المعنى من البنية العميقة إلى السطح الذي يعتبر مدخلا للتحليل وفق هذه النظرية من جهة، وكاشفا عن بعض القواعد والقيود السياقية التي تتحكم فيما يظهر في السطح(التمثل الصوتي) ومن ذلك مثلا:«القواعد الحرة في السياق»[2]، والقواعد المقيدة في السياق إضافة إلى أن النظرية التحويلية التي قال بها "كاتفورد" أدخلت في النظرية التوليدية التحويلية ما يسمى بقيود التوارد».[3]

ولعل هذا المصطلح هو من أهم ما في النظرية التوليدية التحويلية من اعتماد على السياق اللغوي بوصفه مجموعة من العلاقات المعجمية والنحوية، إذ يعني التحويليون بالاختيار المقيد: «التناسب الدلالي بين ألفاظ العبارة فالفعل لابد أن يتناسب مع الاسم الذي يصاحبه أي الفاعل والمبتدأ».[4]

[1]- عبد النعيم خليل: مرجع سابق، ص308.

[2]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص132.

[3]- عبد اللطيف حماسة: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، ص96.

[4]- المرجع نفسه، ص96.

وبذلك أضحت النظرية التحويلية تخضع صحة الجملة لشقين من معيار المقبولية أحدهما له علاقة بالصحة النحوية والآخر له علاقة بالصحة الدلالية: فجملة «الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة»[1]؛ جملة غير مقبولة برغم كونها صحيحة قواعديا إذ لا معنى لها مثل: «عن الحديث الموسيقى كتاب قرأت». [2] جملة غير مقبولة لكونها تفتقد الصحة النحوية ابتداء، وعليه فإن الجملة تكون متسمة بقدر من المقبولية وخالية من الانحراف، فلابد أن تتوافق والسياق اللغوي معجميا ونحويا.

وفي الأخير نستخلص أن المدارس اللسانية كالبنيوية والسلوكية والوظيفية والتحويلية تأثرت بالسياق، وإن كان ذلك بشكل غير مباشر، ففي البنيوية نجد "دوسوسير" يشير إلى السياق في حديثه عن لعبة الشطرنج، كما تمظهر عنده في كون اللغة مجموعة نسقية من العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية على الصعيدين: التركيبي أو العلاقات التركيبية في السلسلة الكلامية على امتداد ترابطها وتجميعها وهو أن تتسم الكلمات خارج الخطاب بشيء مشترك وتترابط في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة كالاشتراك في الأصل الاشتقاقي أو الصوت، أو المعنى وغيرها. ومن خلال هذين الصعيدين التركيبي والترابطي تجسد السياق اللغوي بمكوناته الصوتية والنحوية والدلالية في فكر "دوسوسير" في حين نجده يتجسد لدى الوظيفيين في نصهم على تعدد الوظائف التواصلية كالوظيفية الشعرية والمرجعية وغيرها، ورفضهم فصل البنية عن السياق.

أما السلوكية فقد تجسد لديها من خلال ربطها إياه بالمثير والاستجابة ودلالة ذلك أن الكلام سلوك ناتج عن استجابة لمنبه خارجي، بينما التحويلية ربطت القواعد التحويلية بالسياق.

[1]- نعوم تشومسكي: البنى النحوية تر يوإيل يوسف عزيز، بغداد، ط1، 1987، ص19.

[2]- المصدر نفسه، ص 20.

الخاتمة

الخاتمة:

نصل في ختام هذا البحث إلى جملة من النتائج حصرناها في النقاط الآتية:

1-إدراك البلاغيين من العرب للعناصر السياقية المبحوث فيها وهذا واضح لديهم في حديثهم عن المقام في مقولتهم الشهيرة "لكل مقام مقال".

2-عرف علماء النحو من العرب كذلك عناصر هي من صميم النظرية السياقية كوقوفهم عند قضايا نحوية كظاهرة الحذف والتقدير والإعراب وغيرها.

3-جاء حديث المفسرين عن العناصر السياقية في معرض حديثهم عن أسباب النزول والبحث عن الدلالة التامة غاية علم التفسير، حيث لم يقتصروا في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم على المفردات اللّغوية، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك إلى ظروف وملابسات النصّ الكريم مما يندرج تحت سياق الحال أو المقام، إضافة إلى ذلك السياق اللغوي.

4-أخذ الأصوليون السياق بمعناه المقامي والمقالي في الحسبان خاصة أثناء بحثهم عن الدلالة وصولا إلى الحكم الشرعي، وكان حديثهم عن ذلك مباشرا في بعض الأحيان مما يدل على إدراك تام لمفهوم السياق بمعناه الإصطلاحي.

5-إن علماء العربية القدماء من لغويين ونحويين وبلاغيين وأصوليين أشاروا لدراسة السياق من خلال تبيينهم لأثره في النظم وتحديد دلالات الكلمات، في حين أنّ بعض العلماء الغربيين قد استفاضوا في حديثهم عن السياق وأثره في بيان دلالة الكلمات التي لا تتحدد إلاّ من خلاله.

6-تأصلت النظرية السياقية بكل عناصرها عند "فيرث" حين تحدث عن السياق الصوتي والسياق اللغوي وسياق الحال أو المقام أو السياق الثقافي وهي تعدّ من أهم المصطلحات التي قامت عليها هذه النظرية إضافة إلى عناصر سياق الحال هامة في توجيه الدلالة كعناصر السياق اللغوي.

7-عرف "دوسوسير" السياق بمعناه المقامي والمقالي، وذلك واضح من خلال حديثه عن لعبة الشطرنج، وكذا تفريقه بين المصطلحات اللسانية اللّغة واللسان والكلام وتمييزه بين علم اللّغة الداخلي والخارجي.

8-اهتمت الوظيفة بصورة تكاد تكون مباشرة بأهمية السياق ودوره وعناصره في الحدث اللّغوي من خلال العملية التواصلية.

9-ارتباط النماذج التحويلية عند "تشومسكي" بمفهوم السياق اللّغوي الذي يعني نظم الكلمة في الجملة وموقعها من ذلك النظم، متّخذا "تشومسكي" هذا الإطار ميدانا لدراسة التحويلية، أما السلوكيون فدراستهم للسياق تقوم على عنصري المثير والاستجابة.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:

- البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2003، ج1.

- البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1948،ج1.

2- الجرجاني عبد القاهر أبو بكر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة العربية، بيروت، دط، 1981.

3- القزويني الخطيب: الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الجمالية، مصر، ط2، دت.

4- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ترجمة محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، دط، دت، ج1.

ثانيا: المراجع

1- المراجع العربية

1- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النصّ، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007.

2- أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط6، 1999.

3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006.

4- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2005.

5- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة،دب،دط، 1944.

6- التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، الجزائر، دط، 2008.

7- عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2011.

8- حسين خمري: نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سميائيةالدال، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2007.

9- حسين عبد الرضا الوزّان: الصوت والمعنى في الدّرس اللّغوي عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث، دار دجلة، ط1، 2011.

10- حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية،دار المعرفة، الإسكندرية، دط، 1996.

11- حنيفي بن ناصر ومختار الزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2011.

12- خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

13- سالم شاكر: مدخل إلى علم الدلالة ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992.

14- السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزائر، ط1، 2008.

15- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1981.

16- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2004.

17- صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللّغة الحديث، دار أسامة، عمان، ط1، 2012.

18- صبحي إبراهيم الفقي: مدخل إلى علم اللّغة النصّي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكيّة، دار قباء، ط1، 2000.

19- صلاح الدين زرال: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابعهجري، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2008.

20- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، القاهرة، ط2، 1980.

21- علي آيت أوشن: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2000.

22- عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللّغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، مكتبة العروبة، القاهرة، دط، 1991.

23- عناني محمد: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية، للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2003.

24- عبد الفتاح محمود المثنى: نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، عمان، ط1، 2012.

25- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكّم وقواعد البيانات،دار صفاء، عمان، ط1، 2002.

26- عبد اللطيف حماسة:

- الأنماط التحويلية في النحو العربي، الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

- النحو و الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

27- عبد الله الغدامي: الخطيئة والتفكير من البنيوية التشريعية، الهيئة المصرية للكتاب، دط، ط4، 1998.

28- محمد علي خولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1981.

29- محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت، ط1، 2004.

30- محمود السعران: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة،ط2، 1997.

31- مختار لزعر: اللسان اللّغة والكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010.

32- مسعود بودوخة: السياق والدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2002.

33- ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللّغة العربية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1986.

34- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، علم المعرفة، الكويت، دط، 1978.

35- نعمان بوقرة:

- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دار معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009.

- اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009.

- المدارس اللسانية، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،دت.

36- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدامى والمحدثين دراسة لغوية نحويةدلالية،دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2008.

37- هادي نهر:

- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

- دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2011.

2 – المترجمة إلى اللّغة العربية

38- أندري مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، دط، 1984.

39- بالمر: علم الدلالة ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرة، العراق، دط، 1985.

40- بريجتيه بارتشت: مناهج علم اللّغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2004.

41- جون ليونز:

- نظرية تشومسكي اللغوية تحقيق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985.

- اللّغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب دار الشؤون للثقافة العامة، دط، دت.

42- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، بالنيرة، دط، دت.

43- فريديناند دوسوسير:

- دروس في الالسنية العامة ترجمة: صالح القرمادي، الدار العربي، د.ب، دط، دت.

- علم اللغة العام ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد،دط، 1985.

44- قندريس: اللغة ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المكتبةالأنجلو مصرية، دط، 1950.

45- ماريو باي: أسس علم اللّغة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1983.

46- نعوم تشومسكي: البنى النحوية ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، ط1، 1987.

3 – المعاجم

47- أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1979، ج3.

48- التهانوي محمد علي: كشاف اصطلاح الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1996ج2.

49- الجرجاني السيّد الشريف: التعريفات، مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، دط، 1933.

50- الزمخشري أبو القاسم محمود: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1998، ج2

51- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج 10.

4- دوريات ورسائل جامعية

52- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللّغة، قسم الدراسات العليا، كلية اللّغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ.

53- يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، مجلة ا لم الفكر، العدد3، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1980.

الملاحق

ملحق:

1 – فرديناند دوسوسير:

يعد "دوسوسير" أب اللسانيات البنيوية الحديثة نظرا للجهود التي قدمها في مجال هذه الدراسات والتي استفاد منها الكثير من الباحثين.

« ولد "فرديناند دوسوسير" في جنيف من عائلة ينتمي أفرادها إلى العلماء والفنانين وفي أثناء دراسته في جامعتها أبدى اهتماما باللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية والسنسكريتية، وفي سنة 1876 توجه إلى لايبزغ في ألمانيا والتحق بكلية الآداب فيها منكبا على دراسة اللغة والنحو، وقضى "دوسوسير" في تلك الجامعة أربعة فصول دراسية، وفي 1878 نشر ثلاث مقالات، وفي العام الذي يليه 1879 أعد أطروحته للدكتوراه حول الإضافة في اللغة السنسكريتية، وفي العام نفسه نشر بحثا حول نظام الحركات الأساسي في اللغات الهندو- أوروبية ليصبح عضوا في الجمعية اللغوية بباريس، تواصلت مقالاته وبحوثه في المجلات، غير أن شهرة "دوسوسير" في اللسانيات تعود بالدرجة الأولى إلى مجموعة من المحاضرات ألقاها على طلبته في جامعة جنيف بين عام 1907 و1911 في ثلاثة فصول دراسية متباعدة، وعندما توفي في عام 1913 قرر اثنان من تلاميذه وهما "تشارلز بالي" و"إلبيرث شيهاي" جمع تلك المحاضرات وتحريرها ونشرها في كتاب صدر فعلا سنة 1916 بعنوان "محاضرات في علم اللغة العام».[1]

2 – التعريف بنيكولاي تروبتسكوي:

يعدّ من أبرز أقطاب مدرسة براغ الذين برعوا في ميدان الصوتيات الوظيفية أو الفونولوجيا، والتي كان له فيها إسهامات قيمة.

1- ينظر إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو الصرف، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007، ص14.

« درس "تروبتسكوي" في موسكو، انحدر من عائلة روسية عتيقة من طبقة النبلاء حيث تلقى التشجيع الكامل من أبيه الذي كان أستاذا ثم عميدا بجامعة موسكو، رجع إلى روسيا واشتغل في القوقاز بالدراسات الفونولوجية، وعقد صلة بحلقة لغوي موسكو، غادر روسيا بعد ثورة 1918، وعاش ودرس بدءا من ذلك الوقت في فيينا، ومن هناك شارك في حلقة براغ، ومات في سن مبكرة في الثامنة والأربعين من عمره، وبسبب انحدار "تروبتسكوي" عن ارستقراطية روسية، وبسبب هجرته فيما بعد سُكت عن بحوثه العلمية لأكثر من عقدين في الاتحاد السوفياتي، ولم يظهر عمل تروبتسكوي الأول في ترجمة روسية سنة1957 إلاّ بعد بضع سنوات من مناقشة البنيوية في المجلة اللغوية Voprosy Jazkoznaniya(قضايا علم اللغة)، وأهم مؤلف له هو أسس الفنولوجيا Grundzuge der phonologie فقد ظهر في ترجمة روسية بدءا من 1965 ».[1]

3 – رومان جاكبسون:

يعد "جاكبسون" من مؤسسي حلقة براغ التي قامت في القرن العشرين، مستندة بقوة إلى النظرية اللغوية المطورة في كتاب "فرديناند دوسوسير". « ولد "جاكبسون" بموسكو عام 1896 من عائلة يهودية روسية بورجوازية تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصيتة جاكبسون، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة، حتى أنه حلل شعر مالارميه وهو في سن الثانية عشر تخصص في جامعة موسكو في مجال القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب، وبدروس "فرديناند دوسوسير"، وشارك في إنشاء مدرسة براغ اللسانية عام 1915 ويعد من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية، ودراسة النص الأدبي لذاته، وفي عام 1920 توجه إلى تشيكوسلوفاكيا مشاركا في تأسيس نادي براغ وأصدر عام 1921 دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث وفي سنة 1922 وضع مع "تروبتسكوي" و "كارسيفسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدتها

[1] ينظر بريجيتيه بارتشت : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكس،تر سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1، 2004،ص129.

مدرسة براغ، وفي عام1938 شغل منصب نائب الرئيس لهذه المدرسة، وفي سنة1942 انتقل إلى الدانمارك والنرويج، ثم درس في معهد الدروس العليا في نيويورك إلى غاية سنة1946، وقد وجد "جاكبسون" المجال الخصب للبحث اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية».[1]

4 – أتندري مارتيني:

يعتبر من أهم أعلام المدرسة الوظيفية، « ولد سنة1908 في مدينة السافو Savoie الفرنسية، ولقد تخصص في اللغة الألمانية وشغل منصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدروس العليا في باريس، وهو يعمل في جامعة السوربون منذ 1960».[2] ويعدّ "مارتيني" من أعلام الفونولوجيا، شارك في مدرسة براغ اللسانية قبل أن يدرس في جامعة الدانمارك، وبعدها في جامعة كولومبيا، كما عيّن مديرا للجمعية العالمية للغة المساعدة التي كانت ترمي إلى إنشاء لغة عالمية جديدة، وقد اعتمد مارتيني في دراسة الأصوات الوظيفية مبادئ مدرسة براغ، فتطورت على يده اللسانيات في أوروبا بصفة عامة وفي فرنسا بصفة خاصة».[3]

5 – أفرام نعوم تشومسكي:

Avrann Naoom Chomasky: «لساني أمريكي يهودي الأصل من مواليد ديسمبر1928م. تلقى دراسته في بنسافانيا، وهناك درس اللسانيات والرياضيات والفلسفة، وحصل فيها على درجة الدكتوراه عام 1955م بالرغم من أنه قام بمعظم أبحاثه اللسانية عقب انتسابه إلى جمعية الرفاق بجامعة هارفورد، وكان ذلك في الفترة الممتدة بين 1950 و 1955».[4] « فقد حظيت أعماله بالتقدير في الدوائر الأكاديمية، فمنح درجة الدكتوراه الفكرية من جامعة شيكاغو، كما دعي لإلقاء المحاضرات في في عدد من البلدان، وقد حقق هذا العالم

[1]– نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ص168.

[2]– شفيقة العلوي: مرجع سابق، ص16.

[3]– نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهات وقضايا الراهنة، ص100.

[4]– ميشال زكريا: الألسنة التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1986، ص9.

أول شهرته في ميدان اللسانيات حيث تعلم قسطا من مبادئ اللسانيات التاريخية من والده، الذي كان عالما في العبرية، فقد قدم جزءًا من بحثه الأول في اللغة العبرية الحديثة عندما نال درجة الماجستير إلاّ أن العمل الذي يشتهر به الآن هو بناء نظام النحو التوليدي».[1]

[1]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضايا الراهنة، ص130.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات **الصفحة**

- مقدمة .....(أ -ج)

- مدخل .....(4-15)

- الفصل الأول : الإرهاصات الأولى لظهور النظرية السياقية.....(16-62)

- المبحث الأول : السياق عند القدامى والمحدثين.....(16-41)

1-عند العرب:.....(16-27)

2-عند الغرب:.....(27-41)

- المبحث الثاني : النظرية السياقية عند "فيرت".....(41-62)

1-التعريف بصاحب النظرية:.....(42-43)

2-منهج الدراسة في النظرية:.....(43-51)

3 -مصطلحاتها:.....(52-62)

- الفصل الثاني : النظرية السياقية وتأثيرها على المدارس اللسانية.....(63-91)

- المبحث الأول: البنيوية والسياقية.....(63-72)

1-البنيوية عند دوسوسير:.....(63-72)

2-الوظيفية والسياقية.....(73-82)

3-السلوكية والسياقية.....(82-84)

- المبحث الثاني: التحويلية والسياقية.....(84-91)

- خاتمة.....(92-93)

- الملاحق.....(94-97)

- قائمة المصادر والمراجع.....(98-103)